• العدد «١٥» السنة الثانية رجب ١٤٠٤هـ، أبريل ١٩٨٤م



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين

• مصر الإسلام على قائمة الوفد

• مستقبل العراق

• المقاومة الفلسطينية على مفترق الطرق

مدخل الى ازمة الفكر والنظام العربي



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

مصر الإسلام على قائمة الوفد

الانتخابات البرلمانية القادمة في مصر لازالت تجذب إنتباه العديد من المراقبين السياسيين والصحفيين في المنطقة العربية والعالم. ولكن تطوراً أخيراً في الساحة السياسية المصرية جعل مسألة الانتخابات، مسألة في صميم اهتمام الحركة الإسلامية في كل الوطن الإسلامي. فقدأفادت معظم التقارير من القاهرة أن الأخوان المسلمون –ضمن تحول دراماتيكي كبير– سيدخلون الانتخابات القادمة على لائحة «حزب الوفد»، بل أن الاستاذ عمر التلمساني، المرشد العام قد ذكر ذلك صراحة في مقابلة مع رئيس تحرير مجلة «المجلة» السعودية الصادرة بتاريخ ٢٥ شباط «فبراير» ١٩٨٤م.

المسألة الرئيسية التي دفعت بالأخوان المسلمين في مصر لخوض الانتخابات هو الرغبة الشديدة لدى الحركة بالعودة إلى العمل العلني المعترف به رسمياً كما كان وضع الحركة قبل قرار حكومة الانقلاب الناصري ١٩٥٤م بحل الحركة وحظر كل نشاطاتها، مباشرة بعد الحملة الإرهابية الشرسة التي بدأتها حكومة الانقلاب ضد الحركة وكل النشاطات الإسلامية في البلاد. الأخوان المسلمون في مصر يعتقدون إن إعطائهم فرصة العمل العلني، سيحقق للحركة وللإسلام بالتالي امكانيات ومجال ضخم لتعبئة الجماهير وتربيتها إسلامياً، وذلك بلاشك ينبع من الثقة في أن الجماهير المسلمة في أرض الكنانة لا تريد إلا الإسلام.

ولكن الذي دفع بالحركة إلى اختيار الوفد كحليف في الانتخابات تنضوي عناصر الجماعة تحت قائمته، مادامت حتى الآن لا تملك النزول للانتخابات ضمن قائمة اخوانية مستقلة، الذي دفع بالجماعة إلى ذلك فأمر أعطيت فيه عدة أراء من قبل المراقبين للأوضاع في القاهرة.

بعضهم قال أنه تحالف لإطلاق الرصاصة الأخيرة في المعركة الدائرة في مصر الآن ضد الساداتيين كطبقة وكمجموعة سياسية ونمط حكم مازال مسيطراً حتى الآن. والبعض الآخر تصور أن هذا التحالف – الذي يأتي عقب انفراج نسبي في الحياة السياسية – يجمع بين أهم طرفين تضرراً من انقلاب يوليو والحكم الناصري، وهما يريدان الآن معاً أن يثبتا أن ما مر من عمر مصر لم يكن إلا استثناءاً فالذين حاربتهم حكومة يوليو بشراسة ودموية طوال الربع قرن الماضي يعودون الآن في الساحة كأقوى ما كانوا ويهددون بكل جدية ما تبقى من نظام يوليو.

وهناك بلاشك تفاسير أخرى لطبيعة هذا التحالف ولكن معظم الجاد فيها لا يخرج عن الرؤيتين السابقتين.

ما يهمنا هنا قوله: أن الحركة الإسلامية في السنوات القليلة الماضية وفي معظم أجزاء الوطن الإسلامي قد وضعت أمامها العديد من المغريات لجذبها إلى ساحة العمل الديمقراطي (!). والذي نفهمه أن ذلك قد أريد منه بشكل رئيسي أن يجر الحركة الإسلامية إلى الاعتراف بشرعية النظام القائم وإلى تقنين مواجهتها معه في إطار القوانين التي وضعها هو. وفي كل التجارب التي مورست في هذا المجال كانت النتائج دائماً مؤلمة، سواءً في باكستان أو تركيا أو تونس، حيث كانت اللعبة الديمقراطية تسير بشكلها الطبيعي طالما هي تساهم في تفريغ القوى النضالية للحركة الإسلامية، أما اذا وصلت الأمور إلى الحد الذي تصبح فيه الحركة الإسلامية خطراً على بقاء الحكومة العلمانية، فسرعان ما تنتهي لعبة الديمقراطية ويكشر النظام عن انيابه ليعصف بالإسلاميين إلى السجون وأحبال المشانق.

على أن العديد من أجنحة الحركة الإسلامية أمام الارهاب المتواصل وضيق فرص العمل الإسلامي مازالت تتصور أن العمل الديمقراطي قد يعطي فرصة فتح العديد من قنوات العمل أمام الإسلاميين وبالتالي كسب المزيد من القواعد الجماهيرية، ونحن لا نتصور أن هناك طريقاً واحداً مفرداً يحدد بدقة طريقة العمل الإسلامي في كل أقطار الوطن الإسلامي الكبير، ورغم وعينا الإسلامي والتاريخي لخطورة الإنجرار إلى التجربة الديمقراطية، إلا أننا لا نرى بأساً من ممارستها إن كانت مطلباً لأغلبية قواعد الحركة الإسلامية. لأن ذلك وبإختصار يعني أن عليهم مواجهة التجربة التي أرادوها وسيكونون بلاشك أول من يستفيد من نتائجها سلباً كانت – وهذا هو الأرجح – أم إيجاباً.

ولكن أن تأتي تلك الممارسة للتجربة ضمن إطار تحالف مع حزب علماني يملك تاريخاً مميزاً في تاريخ مصر الحديث كحزب الوفد، فتلك بلاشك مسألة تحتاج إلى قليل من التأمل على الأقل!.

حزب الوفد يحتل مساحة هامة في تاريخ مصر الحديث، وان نخطئ، في تاريخ كل المنطقة العربية. فقد تأسس الحزب مباشرة عقب نهاية الحرب العالمية الأولى، في تلك السنوات القليلة التي أعقبت هزيمة الدولة العثمانية وسبقت الإعلان الرسمي بتصفيتها. في تلك الفترة بالذات كان الجيل الذي سعى الغرب في صنعه طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في معظم أقطار الوطن الإسلامي، قد بلغ المستوى الذي يؤهله للمشاركة في السلطة وبدء العمل التدريجي بإزاحة الإسلام نهائياً عن السلطة السياسية، وما أمكن عن السلطة الاجتماعية والثقافية. ازاحة الإسلام بأيدي أبناء المسلمين أنفسهم.

وقد كان «الوفد» هو ممثل هذا الجيل في مصر، بل أن حياة سعد زغلول، مؤسسه ورمزه حتى اليوم، كانت مثالاً واضحاً لذلك الجيل. إبن الطبقة المتوسطة، تلقى أول قواعد وعيه في حلقات المثقفين القاهريين الذين عادوا من الغرب بشهاداته العالية وبالاستلاب لقيمه وحضارته، ثم عمل موظفاً في الحكومة التي صنعها الاحتلال البريطاني وأشرف على نظامها، متدرجاً في سلكها الوظيفي ليصل إلى القضاء. ولتلبية طموحاته السياسية كان عليه أن يوثق علاقته بالقوة السياسية الإقطاعية (عن طريق المصاهرة) وبالمحتل الاجنبي المتحكم بكل شيئ (عن طريق العلاقات الشخصية).

في ثورة ١٩١٩ التي تفجرت بداية على أرضية إسلامية، قفز سعد زغلول والعديد من «الأفندية» من أمثاله أمام علماء الأزهر وتصدوا لقيادة الثورة وبعد سنوات قليلة لم يبق من ثورة ١٩ إلا التاريخ المجهض والاحتلال والقصر وبجانبهم سعد زغلول ورفاقه على رأس «حزب الوفد».

حتى انقلاب ١٩٥٢م مثّل الوفد تحالف أهم شرائح الاقطاع المصري وكبار التجار مع قطاع كبير من الطبقة المتوسطة، لم يكن الرابط الأساسي بين كل تلك الفئات هو الرابط الاقتصادي (الطبقي) رغم أهمية ذلك، ولكن «التغريب» كسمة حضارية كان هو الأطار الذي ربط بين كل تلك الفئات داخل «الوفد» كحزب ليبرالي يطمح إلى نقل النمط الأوروبي السياسي والحضاري إلى المجتمع الإسلامي.

وعلى طول سنوات بين الحربين وحتى انقلاب يوليو كان الوفد يستخدم من قبل الاحتلال والقصر سوية كأداة لوضع حدود للمد الإسلامي الذي قاده الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله، بل حادثة فبراير ١٩٤٢م عندما نقل الوفد إلى السلطة في الدبابات البريطاني، أثبتت أن الوفد في رؤية الاحتلال البريطاني أكثر محلاً للثقة من القصر الملكي نفسه.

بكل المقاييس – على الإطلاق – لا يمكن أن يحسب الوفد كحليف للحركة الإسلامية، بل على العكس من ذلك فقد كان الوفد الاحتياط والبديل للاستعمار البريطاني المباشر لأرض الكنانة، فالوفد: فكراً وانتماءاً، ومصلحة وطموحاً جزء من الغرب وليس من المجتمع الإسلامي. هكذا فهمت بريطانيا الوفد قبل أن يفهمه جيل حسن البنا العظيم.

واليوم، في الوقت الذي تدرك فيه قوى الاستعمار الغربي الأمريكي عبث محاولة القضاء على الحركة الإسلامية بالوسائل التقليدية التي مورست في مصر، أصبح لزاماً السماح للوفد بالعودة وممارسة النشاط السياسي تحت غطاء التاريخ المزيف لوطنية الوفد، لعله يستطيع أن يضع حداً لهذا المد الإسلامي الشامل في أرض الكنانة.

• • •

نحن ندرك «حسن النية» الذي دفع بالأخوان المسلمين في مصر إلى قرار التحالف مع الوفد، وهم يتصورون أن الخطوة لن تكون أكثر من خطوة تكتيكية لإتاحة مجال العمل السياسي النشط أمامهم، ولكن علينا دائماً أن ندرك داخل الحركة الإسلامية تلك الحدود التي يتحول فيها العمل التكتيكي إلى الصدام المباشر مع الأهداف الاستراتيجية.

وعي الإسلام ووعي التاريخ قاعدتان للنور والتنوير في يد الحركة الإسلامية المعاصرة وبعيداً عنها علينا أن نتوقع الكثير من الأخطاء وإلا فما الذي جعل من الباشا سراج الدين حليفاً للإسلاميين في مصر؟!

الطليعة الإسلامية

العبيد

■ ■ ■

المعلم الشهيد سيد قطب

ليس العبيد هم الذين تقهرهم الأوضاع الاجتماعية، والظروف الاقتصادية، على أن يكونوا رقيقاً، يتصرف فيهم السادة كما يتصرفون في السلع والحيوان، إنما العبيد الذين تعفيهم الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية من الرق، ولكنهم يتهافتون عليه طائعين!

العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع، وعندهم كفايتهم من المال، ولديهم وسائلهم للعمل والإنتاج، ولا سلطان لأحد عليهم في أموالهم أو أرواحهم.. وهم مع ذلك يتزاحمون على أبواب السادة، ويتهافتون على الرق والخدمة، ويضعون بأنفسهم الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أقدامهم، ويلبسون شارة العبودية في مباهاة واختيال!

العبيد هم الذين يقفون بباب السادة، يتزاحمون وهم يرون بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الأذلاء في الداخل بكعب حذائه، كيف يطردهم من خدمته دون إنذار أو إخطار، كيف يطأطئون هاماتهم له فيصفع أقفيتهم باستهانة، ويأمر بإلقائهم خارج الأعتاب، ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الأبواب، يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين، وكلما أمعن السيد في احتقارهم زادوا تهافتاً كالذباب!

العبيد، هم الذين يهربون من الحرية، فإذا طردهم سيِّد بحثوا عن سيد آخر، لأن في نفوسهم حاجة ملحة إلى العبودية. لأن لهم حاسة سادسة.. أو سابعة، حاسة الذل.. لابد لهم من إروائها، فإذا لم يستعبدهم أحد أحسَّت نفوسهم بالظمأ إلى الاستعباد، وتراموا على الأعتاب، يتمسحون بها، ولا ينتظرون حتى الإشارة من إصبع للسيد، ليخروا له ساجدين!

العبيد، هم الذين إذا أُعتقوا وأُطلقوا حسدوا الأرقاء الباقين في الحظيرة، لا الأحرار المطلقي السراح، لأن الحرية تخيفهم، والكرامة تثقل كواهلهم، لأن حزام الخدمة في أوساطهم هو شارة الفخر التي يعتزون بها، ولأن القصب الذي يرصع ثياب الخدمة هو أبهى الأزياء التي يتعشقونها!

العبيد، هم الذين يحسون النير لا في الأعناق ولكن في الأرواح، الذين لا تلهب جلودهم سياط الجلد، ولكن تلهب نفوسهم سياط الذل. الذين لا يقودهم النخَّاس من حلقات في آذانهم، ولكنهم يقادون بلا نخاس، لأن النخاس كامن في دمائهم.

العبيد، هم الذين لا يجدون أنفسهم إلا في سلاسل الرقيق، وفي حظائر النخاسين، فإذا انطلقوا تاهوا في خضم الحياة وضلوا في زحمة المجتمع، وفزعوا من مواجهة النور، وعادوا طائعين يدقون أبواب الحظيرة، ويتضرعون للحراس أن يفتحوا لهم الأبواب!

والعبيد – مع هذا – جبارون في الأرض، غلاظ على الأحرار شداد، يتطوعون للتنكيل بهم، ويتلذذون بإيذائهم وتعذيبهم، ويتشفَّون

فيهم تشفي الجلادين العتاة !

إنهم لا يدركون بواعث الأحرار للتحرر، فيحسبون التحرر تمرداً، والاستعلاء شذوذاً، والعزة جريمة، ومن ثم يصبّون نقمتهم الجامحة على الأحرار المعتزين، الذين لا يسيرون في قافلة الرقيق !

إنهم يتسابقون إلى ابتكار وسائل التنكيل بالأحرار، تسابقهم إلى إرضاء السادة، ولكن السادة مع هذا يملوّنهم ويطردونهم من الخدمة، لأن مزاج السادة يدركه السأم من تكرار اللعبة، فيغيرون اللاعبين ويستبدلون بهم بعض الواقفين على الأبواب !

ومع ذلك كله فالمستقبل للأحرار. المستقبل للأحرار، لا للعبيد ولا للسادة الذين يتمرغ على أقدامهم العبيد. المستقبل للأحرار، لأن كفاح الإنسانية كلها في سبيل الحرية لن يضيع. ولأن حظائر الرقيق التي هُدمت لن تقام، ولأن سلاسل الرقيق التي حطمت لن يعاد سبكها من جديد !

إن العبيد يتكاثرون. نعم: ولكن نسبة الأحرار تتضاعف، والشعوب بكاملها تنضم إلى مواكب الحرية، وتنفر من قوافل الرقيق، ولو شاء العبيد لانضموا إلى مواكب الحرية لأن قبضة الجلادين لم تعد من القوة بحيث تمسك بالزمام، ولأن حطام العبودية لم يعد من القوة بحيث يقود القافلة، لولا أن العبيد -كما قلت- هم الذين يدقون باب الحظيرة، ليضعوا في أُنوفهم الخطام !

ولكن مواكب الحرية تسير، وفي الطريق تنضم اليها الألوف والملايين.. وعبثاً يحاول الجلادون أن يعطلوا هذه المواكب أو يشتتوها بإطلاق العبيد عليها. عبثاً تفلح سياط العبيد ولو مزقت جلود الأحرار. عبثاً ترتد مواكب الحرية بعدما حطمت السدود، ورفعت الصخور، ولم يبق في طريقها إلا الأشواك !

إنما هي جولة بعد جولة. وقد دلت التجارب الماضية كلها، على أن النصر كان للحرية في كل معركة نشبت بينها وبين العبودية.

إن قافلة الرقيق تحاول دائماً أن تعترض موكب الحرية.. ولكن هذه القافلة لم تملك أن تمزق المواكب يوم كانت تضم القطيع كله، والموكب ليس فيه إلا الطلائع، فهل تملك اليوم -وهي لا تضم إلا بقايا من الأرقاء- أن تعترض الموكب الذي يشمل البشرية جميعاً؟

وعلى الرغم من ثبوت هذه الحقيقة، فإن هنالك حقيقة أُخرى لا تقل عنها ثبوتاً، إنه لابد لموكب الحريات من ضحايا.. لابد أن تمزق قافلة الرقيق بعض جوانب الموكب.. لابد أن تصيب سياط العبيد بعض ظهور الأحرار، لابد للحرية من تكاليف، إن للعبودية ضحاياها وهي عبودية، أفلا يكون للحرية ضحاياها وهي الحرية ؟

هذه حقيقة، وتلك حقيقة. ولكن النهاية معروفة، والغاية واضحة، والطريق مكشوف، والتجارب كثيرة، فلندع قافلة الرقيق وما فيها من عبيد تزين أوساطهم الأحزمة، وتحلي صدورهم القصب، ولنتطلع إلى موكب الأحرار وما فيه من رؤوس تزين هاماتها مياسم التضحية، وتحلي صدورها أوسمة الكرامة. ولنتابع خطوات الموكب الوئيدة في الدرب المفروش بالشوك، ونحن على يقين من العاقبة، والعاقبة للصابرين.

مستقبل العراق

كتب الحاكم البريطاني للعراق (ويلسون) في برقية له إلى وزير الهند البريطاني بتاريخ ١٩١٨/١٢/١٠م قائلا: «ان المناطق الاستراتيجية في الشرق الأوسط تقع في بغداد وقد استطعنا باحتلال العراق أن ندق إسفيناً في العالم الإسلامي وبذلك منعنا تجمع المسلمين ضدنا في الشرق الأوسط..

وإني أسلم... انه يجب أن يكون من سياستنا في ظروف السلم أن نحافظ على بلاد ما بين النهرين بصفتها أسفيناً يحمي البلاد الخاضعة للسيطرة البريطانية.. أنها يجب أن لا تندمج بسائر بلاد العالم العربي أو الإسلامي بل تبقى منعزلة قدر المستطاع».

هذه الحكمة البريطانية (!) القديمة في الشرق الأوسط مازالت تشكل دعامة هامة لسياسة الغرب بكل قواه الاستعمارية حول العراق.

في الرؤية الأمريكية أن الهلال الممتد من بنغلاديش حتى مصر يسمى بهلال الاضطرابات، أي أن هذه السلسلة من الدول -التي تشكل معظم ثقل الوطن الإسلامي- ليس من السهل التحكم بها وضبط حركة جماهيرها، وستبقى دائماً مصدر قلق وازعاج لمصالح الغرب والولايات المتحدة في العالم. والسبب الجوهري الذي لا يريد الغرب الاشارة له بوضوح وراء هذه الظاهرة هو الإسلام. ذلك أن كل محاولات الغرب لتصفية الإسلام في هذا الجزء الهام من الوطن الإسلامي قد باءت بالفشل، ولايزال الإسلام، ديناً وعقيدة وتراثاً وحضارة ونمط حياة، يشكل خطراً متواصلا على بقاء الغرب وهيمنته.

العراق هو قلب هلال الاضطرابات، والعراق هو بوابة المنطقة العربية في الوطن الإسلامي حيث الإسلام ليس فقط الدين والعقيدة والتاريخ، بل أيضاً صانع اللسان واللغة والملامح، وحيث الحضانة التاريخية لهذا الدين وتراثه وإلى الأبد.

بل أن العراق هو أكثر من ذلك كله ، فهو امتحان النهوض الإسلامي المعاصر أمام أخطر تحدياته : وحدة الأمة والوطن الإسلاميين. ذلك أن تجاوز نهوضنا المعاصر لهذا التحدي يعني الخطوة الحاسمة باتجاه تصفية كل آثار الهجمة الغربية على الوطن الإسلامي ، من الهيمنة الثقافية والاقتصادية إلى قلب الهجمة في فلسطين.

العراق اليوم أمام مستقبله ، وجهاً لوجه ، ولأول مرة منذ بداية حرب الخليج منذ ما يقرب من أربع سنوات. العراق اليوم مركز الاهتمام العالمي بأجمعه وبالتأكيد كل المسلمين ، ذلك أن مستقبله سيحدد وإلى درجة كبيرة مستقبل كل هلال الاضطرابات (!). فيما يلي نلقي بعض الضوء باتجاه هذا المستقبل ، فقط بعض الضوء :

[١]

أزمة التاريخ والجغرافيا

الذي شكّل العراق الذي نعرفه اليوم ، واعطاه هذه الملامح الجغرافية والبشرية لم يكن الشعب العراقي ، ولا رغبات الشعب العراقي وأمانيه.

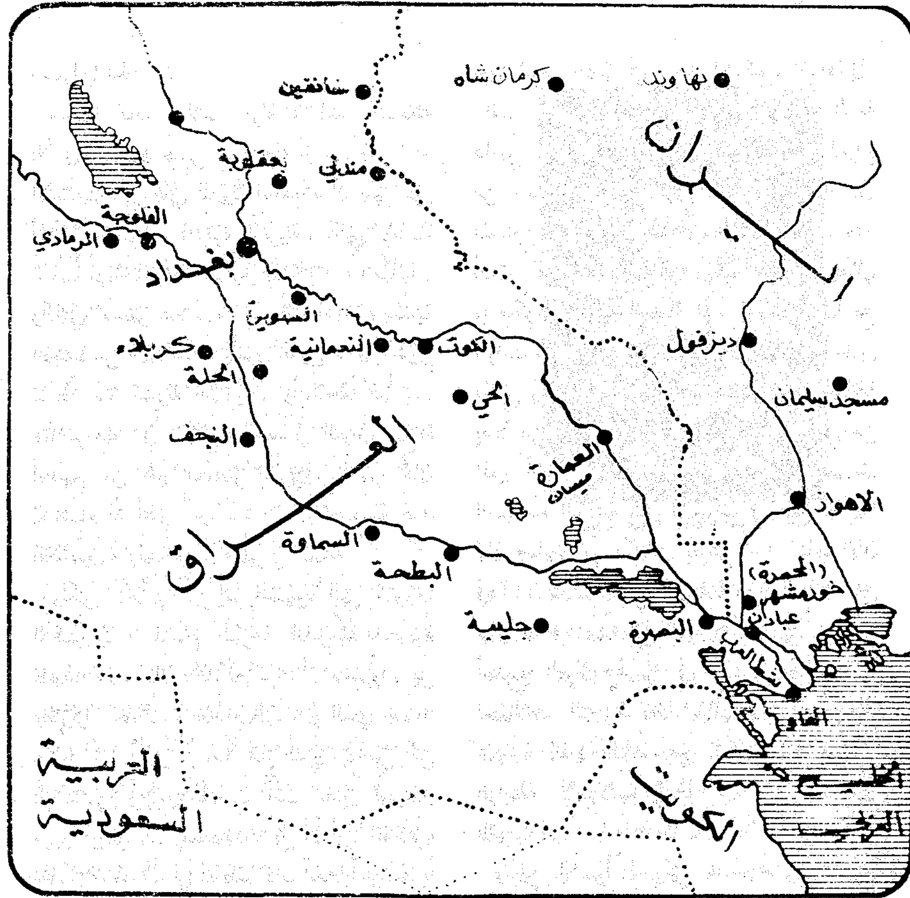
في مطلع هذا القرن كانت هذه المنطقة التي تعرف الآن بالعراق جزءاً من الدولة العثمانية موزعة على عدة ولايات. وبعد هزيمة الدولة العثمانية وبدء تنفيذ المخطط بتقطيع أوصالها منعاً للأمة من أن تتوحد من جديد ، كانت الرغبة البريطانية الشديدة تتجه نحو منطقة الرافدين لضمها إلى مناطق النفوذ البريطاني الاستعماري ، وكان ما يحرك بريطانيا في هذا الاتجاه سببان رئيسيان :

الأول : أن العراق هو نافذة السيطرة على كل المنطقة العربية من الشرق الأوسط ، في نفس الوقت الذي يتحكم فيه يتحكم في طريق الهند الاستراتيجي حيث كانت شبه القارة الهندية في ذلك الوقت أهم المستعمرات البريطانية.

الثاني : أن الاكتشافات النفطية بدأت تشير إلى أن العراق يسبح على حقول من النفط.

وما أن انتهت الحرب الأولى حتى كانت صغية سايكس بيكو تقطع كيان الوطن الموحد للإسلام وترسم حدوده وتعطيه ألوانه حسب رغبة الاستعمار وأطماعه.

ومنذ اللحظة الأولى لرسم حدود الدول في هذه المساحة الممتدة من الخليج إلى المتوسط ، كان واضحاً أن التاريخ سيصطدم اصطداماً هائلاً بالجغرافيا الجديدة. ذلك أن الحدود التي وضعت لتحدد معالم الدول الجديدة وضعت حسب الاتفاقات والمصالح والأطماع الاستعمارية في لندن وباريس حيث كانت الكيلومترات تعني إما الثروة أو الموقع الاستراتيجي ، ولم يكن التناسق السكاني أو



مستقبل العلاقات بين الدول والجماعات يعني أي شئ لهذا المخطط.

وفي السابق حيث كانت المنطقة بأكملها تحت حكم الدولة العثمانية ، كان الإسلام هو الموحد الإساسي لكل ابناء المنطقة ، رغم التخلف والانحرافات بين العناصر القومية المختلفة ، فلا الاكراد شكلوا مشكلة هامة ولا التركمان كانوا أقلية ولا حتى الذين كانوا يحملون الجنسية الفارسية ويعيشون في العراق كانوا يشكلون أي ازعاج للدولة ، خاصة بعد أن انتهت الدولة الصفوية في ايران وتوقفت النزاعات بين فارس والدولة العثمانية وجاء السلطان عبدالحميد وهو ممتلئ بإطروحات الوحدة ووعي الخطر الغربي على المسلمين.

ولكن سقوط الدولة العثمانية واقامة دول «سايكس بيكو» بإسقاط الرابطة الإسلامية وتصعيد العصبية القومية ، كان يعني أن المنطقة مقبلة على مستقبل قلق ، مستقبل من النزاعات ، داخلها وفيما بينها ، مستقبل يجسد الصدام الحتمي بين حقائق التاريخ وطوارئ

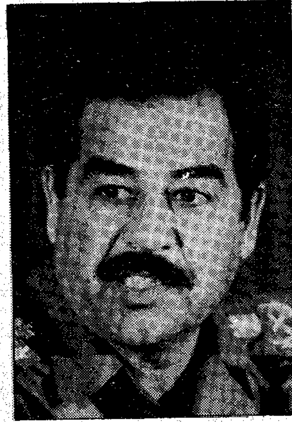
الجغرافيا الجديدة.

هكذا كان ميلاد العراق، ومنذ اللحظة الأولى، ميلاد يحمل في داخله أزمته. فقد أراد الاستعمار البريطاني للدولة الجديدة أن تبنى على أكتاف الحركة القومية العربية، التي وقفت أساساً إلى جانب الاستعمار ضد الدولة العثمانية. والذي يدعو للاستغراب أن أبناء «جمعية العهد» من الضباط العثمانيين الذين مارسوا دوراً نشطاً ضد الدولة العثمانية، وأصبحوا فيما بعد عناصر هامة في النظام الجديد في العراق، كان أغلبهم من غير العنصر العربي، الذي كان الانتماء له أهم مبررات نشاط الجمعية ضد العثمانيين، ولصالح الانجليز في النهاية.

ولكن الأمر لم يكن يمر بالسهولة التي تصورها الكثيرون، فأمام النزعة القومية العربية المتصاعدة، كان لابد للأكراد أن يتميزوا، بل والتركمان كذلك، فمادام الإسلام الذي جمعنا سوية قد أطلق بعيداً فما الذي يمنعني من الإعتزاز بقوميتي مادمت أنت تعتبر قوميتك مبرراً لوجودك. وسلطتك، بل أن أول انقلاب عسكري حدث في المنطقة كان انقلاباً عسكرياً قام به الضابط الكردي العراقي بكر صدقي في الثلاثينات وهو يتطلع إلى دولة كردية أو إلى مزيد من النفوذ الكردي –على الأقل– في داخل الدولة.

على أن التمايز القومي لم يكن هو كل شئ، فقد أدت ثورة العشرين التي أبرزت قيادة المراجع من العلماء المسلمين الشيعة، إلى أن ينتبه الاستعمار البريطاني إلى خطورة الوضع الاستقلالي للمؤسسة الدينية الشيعية في العراق مما حدا سلطات الاحتلال إلى محاولة ابعاد أي نفوذ شيعي حقيقي في داخل الحكم، إضافة إلى ذلك أن سياسة التمايز الطائفي وتجزئة الأمة داخل العراق كانت إحدى ضمانات نقل النزاع من مستواه الحقيقي بين الأمة والاستعمار إلى المستوى الآخر بين طوائف الأمة نفسها. وقد أدت السياسة الطائفية للاستعمار البريطاني والحكومة الملكية العميلة له، إلى أن تنشأ مع الوقت داخل الشيعة تيارات تتحرك على أساس طائفي وكأن المسألة قد أصبحت حقوق الطائفة بدلاً من أن تكون حقوق كل الأمة ولعل من المثير أن نشير هنا إلى أن أحد الشخصيات السياسية العراقية التي اشتهرت في هذا الاتجاه كان صالح جبر، الذي يعيش أحد ابناءه الآن في لندن نشطاً داخل المعارضة العراقية باحثاً عن دور له في مستقبل العراق السياسي. هكذا أصبح العراق يحمل في داخله سلسلة من احتمالات التجزئة والانشقاق جاءت جميعها كنتيجة لتلك النقلة غير الطبيعية من مرحلة الرابطة الإسلامية إلى مرحلة الدول «تحت القومية».

ولكن الأسوأ لم يكن قد جاء بعد، ففي الأربعينات تصاعد المد القومي الراديكالي في المنطقة العربية كرد فعل على فشل الجيل القومي الأول في تحقيق أدنى ما كانت تريده جماهير الأمة. ففي سنوات قلائل كان الضباط العرب –الذين نشأوا في الجيوش الحديثة التي بناها الاستعمار وأشرف على تدريب ضباطها وصنع توجهها العقائدي –كان هؤلاء الضباط يستولون على السلطة في أهم العواصم العربية. وكان دور العراق حين استطاعت مجموعة عبد الكريم قاسم إنهاء الحكم الملكي وادخال العراق في مرحلة



صدام: بدأ الحرب لتضع نهايته

جديدة. ولكن الصبغة القومية البحتة التي صبغت أنظمة الانقلابات العسكرية العربية في الخمسينات والستينات قد اختلطت بصعود ونفوذ شيوعي كبير في العراق، وقد أدى إلى ذلك سببان هامان، الأول أن نظام عبد الكريم قاسم وجد في مرحلة الوحدة المصرية السورية واكتساح المد الناصري للمنطقة في الوقت الذي كان العراق يبحث فيه عن دور لا يقل عن دور مصر، في ذلك الوقت كانت الحركة الشيوعية تقف في مواجهة الناصرية. السبب الثاني: أن الشيوعيين العراقيين، وككل الأحزاب الشيوعية، استطاعت أن تلعب بمهارة لعبة حقوق الأقليات القومية والدفاع عن الطوائف المضطهدة. ولعله ليس غريباً أن كردستان العراقية مازالت معقلاً هاماً للشيوعيين العراقيين حتى هذا الوقت.

ولكن الارهاب البشع الذي رافق النفوذ الشيوعي في مرحلة قاسم لم يكن ليستمر طويلاً، اذ إستطاع تحالف القوى القومية ازاحة النظام وبدء مرحلة جديدة دخل فيها العراق في مرحلة انتقالية من عدم التوازن صاحبت حكومة عبد السلام عارف ثم أخيه عبد الرحمن عارف والتي إنتهت بالانقلاب الذي أوصل مجموعة البكر–صدام إلى السلطة في ١٩٦٨.

المسألة الأساسية أن أزمة العراق كانت تزداد تفاقماً مع الزمن رغم الخبرات المتراكمة للأنظمة المتعاقبة على الحكم، ذلك أنها كانت أزمة في التكوين الأساسي. فمع ازدياد التوجه العلماني للنظام كان الانقسام يزداد بين الاسلاميين وبين المتغربين، ومع وضوح الوجه القومي وتعميق الملامح للقومية للنظام كان الانقسام يتفاقم بين الأغلبية العربية والأقليات (التي لم تكن صغيرة الحجم على أي حال).

ورغم أن الانقسام الطائفي قد ضعف إلى درجة كبيرة في الخمسينات والستينات كنتيجة للاحساس الإسلامي المشترك بعنف الهجمة ضد الإسلام إلا أن وصول البعث إلى السلطة في نهاية الستينات ثم تحول النظام واحساسه بعزلته الكبيرة داخل العراق، جعل حكومة صدام قابلة لاستخدام أي أسلوب كان لضمان البقاء في السلطة.

٢- الإسلاميون والتحدي المتواصل

مباشرة عقب الحرب العالمية الأولى أصبحت المنطقة العربية التي تدعى الآن: سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن والعراق جميعها تحت الاحتلال الأجنبي (بريطانيا وفرنسا) فيما كانت معظم المناطق العربية قد وقعت تحت الاحتلال لعدة سنوات قبل الحرب. كانت تلك المرحلة التي انتهت فيها الدولة العثمانية وبدأ المسلمون يشعرون للمرة الأولى في تاريخهم أنهم فقدوا حكومتهم الإسلامية -مهما كان الرأي حولها من قبل ومن بعد- وأصبحوا لقمة سائغة للغرب المتربص بهم منذ سنين طويلة.

المسألة الأساسية التي لم ينتبه لها الكثيرون وهم ينظرون إلى تلك الفترة، أن الحركة القومية العربية التي وقفت إلى جانب الاستعمار وضد الدولة العثمانية استطاعت أن تحقق نجاحات محدودة في لبنان، سوريا، فلسطين والأردن وأن تجعل قدوم المحتل الكافر سهلاً بشكل نسبي، ولكن العراق كان شيئاً مختلفاً.

كان العراق وحده هو الذي تحرك فيه الآلاف من جماهير الناس العاديين تحت قيادة العلماء لتجعل طريق المستعمر البريطاني مفروشاً بالدم والخسائر الهائلة، ولعلنا لابد أن نشير هنا إلى أن العراق بأكملة «سنة وشيعة» قام ضد الاحتلال ودفاعاً عن الدولة العثمانية التي أعتبرت دائماً «دولة سنية»!.

تجربة مقاومة الاحتلال أكسبت الحركة الإسلامية قوة وتجربة وأعطتها فعالية حقيقية، مما كاد العراق يصبح تحت سيطرة القوات البريطانية حتى انفجرت ثورة العشرين بقيادة العلماء مؤكدة حقيقة أن العراق لم يكن يوماً لقمة سائغة لأعداء الإسلام. وقد كانت ثورة العشرين التي تمثلت فيها وحدة جناحي الأمة في العراق كأروع ما تكون، رعباً متواصلاً أمام الإحتلال البريطاني الذي حاول دائماً ألا يواجهه مرة أخرى وهكذا بدأت اللعبة الطائفية في العراق الحديث.

وقد أدى التصعيد الطائفي إلى تراجع واضح في ثقل الحركة الإسلامية في العراق طوال الثلاثينات والأربعينات فقد تم اقناع السنة أن النظام الحاكم هو نظامهم هم، فيما عانى المسلمون الشيعة من غيبة قيادة فعالة عقب وفاة المرجع الكبير محمد تقي الشيرازي الذي كان أهم قيادات ثورة العشرين. وقد استمرت الأوضاع إلى حوالي نهاية الأربعينات حين وصل نشاط حركة الأخوان المسلمين إلى العراق وبدأ تشكيل فرع للحركة في العراق كنتيجة لتجميع بعض القوى والجمعيات الإسلامية الصغيرة لبعضها البعض، وفي مطلع الخمسينات كانت زيارة المرشد العام المرحوم حسن الهضيبي للعراق إحدى المناسبات الهامة التي أعلنت عن تواجد الحركة ونشاطها.

في الخمسينات أيضاً استطاع حزب التحرير الإسلامي أن يشكل أهم أجنحته على الإطلاق في المنطقة بين المسلمين العراقيين وأن يمارس



متطوعون إيرانيون في القاطع الأوسط.

نشاطاً وفعالية إسلامية حقيقية بين جماهير المسلمين العراقيين وأن يحقق نجاحاً جوهرياً في أن ينضوي تحت لوائه مسلمون سنة وشيعة معاً. ومع نهاية العهد الملكي وتولي عبدالكريم قاسم السلطة بدأت مرحلة جديدة، من تاريخ الحركة الإسلامية، عندما بدأت مواجهة دموية بين الشيوعيين وقوى النظام وبين الإسلاميين، وكما حدث في مصر وسوريا ومعظم أقطار الوطن الإسلامي كانت الستينات قد صممت لتصفية الإسلام نهائياً في الشرق الإسلامي. والمؤكد أن «الأخوان المسلمون» و«حزب التحرير» قد عانوا معاناة حقيقة من الهجمة ضد الإسلام، ولكن الأمور لم تستقر تماماً للنظام وأعوانه. فقد برزت قيادة المرجع السيد محسن الحكيم كقيادة حقيقية واعية بين المسلمين الشيعة وبدأ في قيادة حركتهم في مواجهة المد الشيوعي.

في هذه المرحلة بالذات -نهاية الخمسينات وبداية الستينات- تأسس «حزب الدعوة» الذي يعتبر الآن -إضافة إلى منظمة العمل الإسلامي- أهم القوى المنظمة للمسلمين الشيعة في العراق. وقد كان تأسيس الحزب نتيجة لالتقاء جهود بعض العلماء المسلمين مع مجموعة من المثقفين المسلمين في العراق. والجدير بالذكر أن العديد من المؤسسين قد مارسوا من قبل العمل السياسي الإسلامي والتنظيمي داخل «حزب التحرير» ولعل هذا أحد أهم الأسباب التي جعلت الأفكار الرئيسية لحزب الدعوة -حول تصوره لمنهج العمل الإسلامي- تبدو قريبة إلى حد كبير من أفكار حزب التحرير.

وما أن تولت مجموعة البكر-صدام السلطة حتى أصبح واضحاً أن النظام الجديد سيبدأ مخططاً شاملاً لتصفية كل ما يمت للحركة الإسلامية بصلة.

وقد وصل الأمر إلى درجة أن قامت قيادة

حركة الأخوان المسلمين بحل التنظيم بعد أن هاجر معظم كوادره خارج البلاد ، فيما عانى حزب الدعوة الإسلامي من عدة هجمات أوصلت مجموعة من أهم كوادره إلى الاعدام . ومما يؤسف له أن هذا الارهاب الشرس الذي واجهته الحركة الإسلامية في السبعينات لم يجد أي انتباه حقيقي من جماهير المسلمين خارج العراق . وفي الوقت الذي قام فيه نظام صدام باعدام العالم السني المجاهد الشيخ البدري والعالم الشيعي المجاهد الشيخ البصري ورفاقه كان صدام يقدم للعالم الخارجي من مرتزقة الإعلام الغربي وبقايا الحركة القومية العربية كمناضل صلب من أجل حقوق الأمة ! !.

ومع تفجر الثورة الإسلامية في إيران مع نهاية السبعينات أحس صدام أن الخطر الذي حاول طوال العشر سنوات السابقة من حكمه أن يتفاداه قد أصبح قريباً وعقب إقامة الجمهورية الإسلامية في إيران أصبح هناك احساس في بغداد والمنطقة أن نظام صدام في سباق مع الزمن .

فني هذا الوقت كانت مجموعة إسلامية جديدة قد أعلنت عن تشكيلها التنظيمي وهي «منظمة العمل الإسلامي» وقد بدأت المنظمة مباشرة مواجهة عسكرية مع النظام مما صعد من احساس النظام بالخطر خاصة بعد محاولة اغتيال طارق حنا عزيز أحد أعمدة النظام (نصراني) في جامعة المستنصرية .

وعندما قام صدام باعدام المفكر الإسلامي الكبير الشهيد السيد الصدر أصبح واضحاً أن معركة الإسلام في العراق قد دخلت مرحلة الحسم . أما النظام بكل جذوره وامتداداته واما الحركة الإسلامية .

العراق الحديث صنع تاريخه الصراع ، الصراع بين قوى الوحدة وقوى التمزق ، بين قوى الاستعمار الغربي وأعوانه وقوى الامتداد التاريخي الحقيقي ، قوى الهجمة الغربية وإفرازاتها وقوى الإسلام وحركته .

وكان قدر العراق –ومازال حتى يشاء الله– أن يواجه أحد درجات الأزمة بين تاريخ صنعته قوى الداخل وجغرافيا فرضتها قوى الخارج ، مما جعل الحركة الإسلامية في معظم المراحل غير قادرة على أن تصل بمعركتها إلى نهاية الشوط . ومنذ ثورة العشرين وحتى الثمانينات كان الإسلاميون في العراق يخوضون المعركة تلو الأخرى ويخسرون الشهداء فوجاً تلو الآخر بدون أن يستطيعوا تحويل النتائج لصالحهم ، ذلك أن قوى الهجمة المضادة للإسلام أدركت –وارادت– وصنع العراق كبوابة لكل المنطقة التي تشكل قلب الوطن الإسلامي وبدون شك كان للتكوين الاختراقي –ان صح التعبير– الذي وجد فيه العراق أكبر الآثار في ألا تستطيع الحركة الإسلامية في العراق أن تحقق نتائج بحجم الشهداء الذين قدمتهم . ونقصد بذلك التكوين القومي والطائفي للذين استغلا دائماً كنقطة ضعف في جبهة الأمة في مواجهة اعدائها .

ولكن تاريخ الحركة الإسلامية الحديث في العراق يعطينا درساً هاماً لابد من الاشارة اليه هنا ، وهو أن العراق وطوال الوقت الذي كان فيه جناحه السنّي نشطاً إسلامياً ، كانت

الطائفية تخمد وتتراجع ، ذلك أن التراث البريطاني للعمل السياسي في العراق قد استمرت ممارسته حتى اليوم ، وهو لضرب وحدة الشعب المسلم وعلى النظام أن يطرح نفسه سُنياً لامتصاص كل حركة للسّنه في الوقت الذي تضرب فيه المرجعية الدينية أو تحتوي شيعياً لافقاد الجماهير قيادتها . وعندما كانت الحركة الإسلامية في الساحة السنية تنشط كما حدث في الخمسينات وبداية الستينات ، كانت الحركة الإسلامية تعرى النظام وتسقط ادعائه في تمثيله الكاذب للسنه وبالتالي تُحاصر كل منافذ المؤامرة الطائفية . هذا الدرس الهام في تاريخ العراق الحديث لازال –وحتى اليوم– صحيحاً وقابلاً للتطبيق وهو بلاشك مفتاح انقاذ مستقبل العراق من كل احتمالات التآمر والاختراق الأجنبي ، تلك التي تبدو الآن في العراق . أما القضية القومية فهي مسألة أخرى ستتعرض لها في الجزء القادم من المقال .

٣– أي مستقبل للعراق

عندما بدأ صدام الحرب لم يفاجأ المسلمون بالحدث . بشكل من الأشكال كان لابد لصدام أن يبدأ ما بدأه وذلك لأن صدام لم يكن يمثل نظامه فقط ، بل كان يمثل كل أنظمة المنطقة بلا استثناء ، بل كل القوى المضادة للإسلام في العالم . لأن هذه الأنظمة وتلك القوى تدرك طبيعة الإسلام وتدرك طبيعة شعوب المنطقة . ولو كانت دولة الإسلام قد قامت في سوريا أو في الأردن وليس في ايران لكان صدام قد أعلن الحرب على سوريا أو الأردن . لأن القاعدة الأساسية التي تحكم هذه المنطقة من العالم أن شعوبها قلقة ، متوترة ، تبحث عن ذلك السر ، ذلك الجوهر الذي جعلها تسود كأكبر قوة في العالم لعدة قرون ، وهي تدرك الآن أن الإسلام هو ذلك الجوهر وستقف معه حتى النفس الأخير .

لم يتصور صدام وهو يبدأ الحرب أن الأمور ستصل إلى ما وصلت اليه في العام الأخير ولكن قدر العراق كان يأخذه إلى حيث يجب أن يكون . فمن الصراحة المؤلمة أن نقول : أن الحركة الإسلامية في العراق لم تكن قادرة على ازاحة صدام بمفردها وكان يجب أن يتورط صدام في هذه الحرب الدموية لأنها ستضع نهاية لنظامه وستبخر ما لم تكن الحركة الإسلامية قادرة على انجازه للأسباب التالية :

١– أن تجربة الشاه الفاشلة في مواجهة الحركة الإسلامية في ايران دقت أجراس الخطر في كل العواصم الإسلامية ، في تركيا تحرك العسكر لمحاصرة الأوضاع ، في سوريا مارس النظام كل ما يمكنه لذبح الإسلاميين لدرجة قصف إحدى مدن البلد بالصواريخ والدبابات وفي العراق بدأ صدام مباشرة من حيث انتهى الشاه ، بدأ

باعدام أهم المراجع والعلماء وزج بالآلاف في السجون والمذابح الجماعية.

٢- أن الحركة الإسلامية في العراق لم تستطع أن تكون ممثلة لكل طوائف الشعب واعراقه. ففي الوقت الذي نشطت فيه المجموعات السنية كان العمل الإسلامي بين المسلمين الشيعة ضعيفاً وفي الوقت الذي برزت فيه للساحة التنظيمات والأحزاب الإسلامية بين الشيعة كان السنة يهدأون. وفي كل الحالات كان الاكراد ضحية للنشاط القومي واليساري.

٣- إن الحركة الإسلامية في المنطقة العربية لم تستطع في الربع قرن الأخير أن تطور نظرية عملها بحيث تصبح أكثر كفاءة في إستخدام مراكز قوتها، ونعني بذلك قدرتها على تحريك الجماهير، والعراق لم يكن استثناءً في ذلك. إن علينا أن نعترف -جميعنا- في المنطقة العربية، أن الحركة الإسلامية لم تستطع منذ نهاية الحرب الثانية وحتى الآن أن تخرج الجماهير للشارع لثلاث أيام متوالية فقط في أي عاصمة من العواصم العربية. وهذا بلاشك جزء من أزمة التكوين التاريخية للحركة الإسلامية في المنطقة العربية منذ سقوط الدولة العثمانية.

كانت الحرب إذن فرصة المسلمين في العراق للتخلص من النظام العلماني الصدامي. وفي الأسابيع القليلة الماضية أثبت عشرات الآلوف من الشباب المسلمين البواسل في شرق البصرة أن مستقبل العراق لن يكون إلا إسلامياً، ولعل هذه الحرب الطويلة المريرة التي طالما آثار طولها حزن وحنق أبناء الحركة الإسلامية في كل مكان، ارادها الله كذلك ليكون العراق مثالاً لكل دول المنطقة في أن البديل لها لن يكون إلا إسلامياً. فعلى طوال الأشهر الماضية دمر صدام العديد من أركان حزبه في عملية الصراع الشرسة داخل النظام، كما أن القوى المعارضة لصدام خارج إطار الحركة الإسلامية تهاوت الواحدة منها تلو الأخرى، اما بسبب عوامل التآكل الداخلية لعدم قدرتها على مواصلة صراع نظام شرس كنظام صدام أو بسبب تهاويها وعودتها إلى الخط الواحد الذي يضمها مع النظام كما حدث مع مجموعة الطالباني وبعض الأقسام الشيوعية. الآن وبعد أربع سنوات من الحرب أين ذهبت «جوقد» وأين بقايا المجموعات القومية التي قدمت نفسها كمنقذ للعراق في بداية الحرب، بل أين الحزب الشيوعي بكل فروعه وقد أظهر الصراع حجمه الحقيقي.

في العراق اليوم بديل واحد لصدام: الحركة الإسلامية. فلننظر إلى هذا البديل وإلى أهم قضايا المستقبل التي عليه أن يبدأ بمواجهتها منذ الآن:

● أصبح من المعروف الآن أن مركز الثقل الرئيسي للمعارضة الإسلامية العراقية هو ايران الإسلامية، وذلك لأن عشرات الآلوف من المسلمين العراقيين قد أجبروا على الهجرة لايران أو أنهم طواعية غادروا العراق هرباً بدينهم من أرهاب النظام الحاكم، إلا أن النشاط الإسلامي يغطي معظم تجمعات المسلمين العراقيين في أماكن تمركزهم في العالم، خاصة في أوروبا وأمريكا.

في السنة الأخيرة نجحت المجموعات

الإسلامية العراقية في الاتفاق على صيغة «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق» كممثل للقوى الإسلامية. الآن تضم قيادة المجلس العديد من الشخصيات والعلماء البارزين في الساحة الإسلامية العراقية والتمثيل -كما أخبر الطليعة أحد قيادات المجلس- تم على أساس الفعالية والتاريخ النضالي للشخص المسلم وليس على أساس الانتماء التنظيمي. بوضوح أكثر المجلس يريد أن يقدم نفسه كممثل للجماهير المسلمة مباشرة وليس كتجمع جبهوي للمنظمات الإسلامية العراقية. وفي العام الماضي استطاع المجلس عبر نشاطاته العسكرية والسياسية والاعلانية أن يفرض وجوده إلى حد كبير في الاعلام العالمي وقبل ذلك بين الجماهير المسلمة العراقية. ولكننا هنا في -الطليعة الإسلامية- نعتقد أن من واجبنا الاشارة إلى عدة نقاط حول المجلس الأعلى:

أولاً: أن المجلس -ورغم السرية المفروضة حول هوية معظم أعضاء قيادته- لم يستطع حتى الآن أن يمثل تمثيلاً كاملاً كافة فئات الشعب المسلم في العراق. والمسألة الأساسية هنا أن المجلس يطرح نفسه كقيادة لكل الأمة وليس كتجمع جبهوي، فلو كان تجمعاً جبهوياً لكان علينا أن نقبل أن المجلس يمثل المنظمات والأحزاب التالية، ولكن الواقع أن طرح المجلس مقصود به تمثيل كل فئات وطوائف الشعب المسلم في العراق، عربه واكراده وتركمانه، شيعته وسنته. وما نعلمه حتى الآن أن المجلس لا يضم أكراداً ولا تركمان كما انه لا يضم سُنة من



السيد الحكيم: الناطق بإسم المجلس الأعلى

العرب. أن علينا أن ندرك أن قضية وحدة الأمة في العراق ينبغي أن تواجه بإطار واقعي يدرك المخاطر التي تكتنف تجربة العمل الإسلامي اليوم في العراق وكل المنطقة. وقضية الوحدة تبدأ السير في السياق الصحيح عندما نتعرف على أرض الواقع - على عناصرها الأساسية.

و«المجلس» الآن أمام تحدٍ حقيقي في هذه المسألة، التي تعتبر أهم وأخطر قضايا العراق الإسلامي ومستقبله، فإما أن يتم التحرك منذ اليوم من أجل ضمان وحدة كل فئات الشعب العراقي، وأما أن نتوقع مزيداً من الضحايا حتى بعد سقوط صدام!.

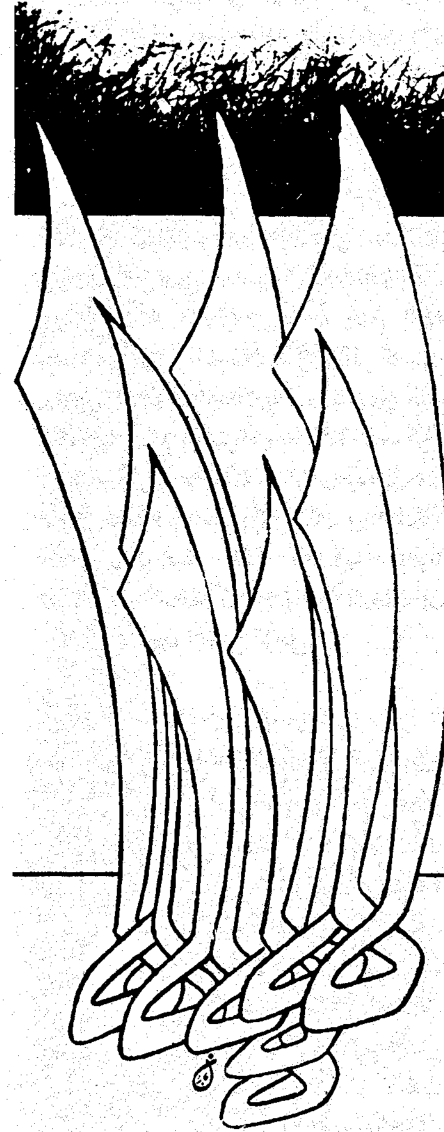
ثانياً: أن المجلس، ورغم أنه ليس مطالباً باعطاء صورة كاملة عن طبيعة النظام الذي يرى

أنه سيناضل من أجله في العراق، إلا أنه مطالب بإعطاء ملامح أساسية توضح مستقبل العراق الإسلامي، وتوضح أيضاً رؤية المجلس لمشاكل العراق الأساسية وكيف ستحل. ان من السهل أن نقول اننا نريد عراقاً إسلامياً، أو أن نقول أن شعب العراق هو الذي سيحدد مستقبل العراق. ولكن ذلك بدون شك لا يقدم إلا وجهاً واحداً للصورة.

إن ما نود توضيحه أنه لا يكفي المجلس أمام جماهير الشعب المسلم في العراق أن نقول، أنه مؤيد من الجمهورية الإسلامية أو أن يكون الناطق بإسمه عالم مناضل كالسيد الحكيم إبن أهم المراجع المسلمين في تاريخ العراق الحديث والذي كان رجلاً يدرك هموم الأمة بكل فئاتها، ذلك أن السيد الحكيم وزملائه من أعضاء المجلس يدركون –قبلنا نحن– صعوبة قضية العراق ومدى المشاكل والتعقيدات التي تحيط بمستقبله.

إن مستقبل العراق الإسلامي لن يسمح له بالاستقرار إلا عندما يفرض هو –نظاماً وشعباً– استقراره. بل أن القوى المضادة للإسلام تعمل منذ الآن لضبط خطوط احتياطيها لمرحلة ما بعد صدام.

وتلك المعاناة والقهر والضياع التي عانى منها المسلمون الاكراد على طول عشرات الأعوام الماضية في العراق ينبغي أن ينظر لها نظرة خاصة. على المسلمين الأكراد أن يدركوا –عبر جهد حقيقي يبذل في هذا الاتجاه– أن العراق المسلم سيكون ضماناً لمستقبل ناهض يضمن لهم



كرامتهم الانسانية وحياتهم كمسلمين. كما أن الحملة الشرسة التي مولها –ومازال– حكام

المنطقة في أن النظام الايراني يريد ابتلاع المنطقة وانشاء امبراطورية طائفية (!)، ينبغي أن يوضع لها حد في العراق، ينبغي أن تكسر وتنتهي إلى الأبد عبر المثال الإسلامي الواضح في العراق.



نرجو ألا نكون قد وقعنا في التبسيط ونحن نحاول أن نوضح العديد من المسائل الصعبة والمعقدة في مساحة صغيرة، كما أننا نرجو ألا تكون هذه المساهمة بعيدة عن هدير المواقع وأجساد آلاف الشهداء من الشباب البواسل الذين يبدأون الآن وقريباً من منابع الشمس عصر العالمية الإسلامية الثانية.

على أن هناك مسألة لابد أن تقال قبل نهاية هذا المقال، وهو أن جوهر قضية الإسلام في هذه المرحلة هو الصراع بين الإسلام وجماهيره وتاريخه من جانب والغرب كقوة مهيمنة، مستغلة وعنصرية، والغرب لن يتخلى عن الوطن الإسلامي بسهولة ولن يترك المسلمين يصنعون استقلالهم ونهضتهم فيما هو يخسر كل يوم وكل ساعة، وكما كانت حرب صدام ضد ايران الإسلام إحدى وسائل القوى الغربية لمواجهة الإسلام، كذلك ستجد هذه القوى وسائل آخرى لمواجهة الإسلام في العراق. إن الحلقة المركزية للوجود والهيمنة الغربية في المنطقة هي الكيان الصهيوني في فلسطين وما لم يكن هناك مشروع إسلامي متكامل لمواجهة الهيمنة الغربية في الوطن الإسلامي فستبقى القوى الإسلامية تواجه الواحدة تلو الأخرى، منفردة، كل مؤامرات الغرب وحليفته المركزية. وبتحديد أكثر ما لم يكن العراق الإسلامي جزء من مشروع الإسلام الشامل لكسر الغرب وازاحة الكيان الصهيوني فستبقى المبادرة وإلى وقت ليس بالقصير في يد اعداء الإسلام، وهذا ما يتضرع إلى الله كل أبناء الإسلام في أن ينتهي.

الطليعة الإسلامية

الغرب

عشرة قرون من الحرب ضد الحضارات الاخرى

قام الغرب على أساس منطق نفي وتدمير جميع الحضارات الأخرى. وكان قيام إسبانيا —وهي أول قوة غربية معاصرة تقوم في أوروبا— كان قيامها حصيلة حربٍ دامت لأكثر من أربعة قرون. إذ أسفرت في عام ١٤٩٢ عن تدمير الاندلس كواحدة من أهم نقاط الاشعاع الحضاري. فأعتمد قيام السلطة الاسبانية المركزية على انتهاء أي وجود لليهود أو للمسلمين في إسبانيا. ومنذ ذاك، لم يعد تعريف الاسباني الحقيقي يعتمد على إي معيار روحي أو معنوي، بل صار الاسباني الحقيقي هو ذلك الشخص **النقي الدم** الذي لا تنتمي سلالته لأي أصل يهودي أو إسلامي. وإن هذا الانحطاط في ربط الدين بمعيار عرقي مجرد هو مصدر العنصرية الغربية.

وستتوسع الحملات الصليبية التي شنت منذ عدة قرون ضد الإسلام لتعم جميع الحضارات على الكرة الأرضية. ففي عام ١٤٩٢ أيضاً قامت إسبانيا بغزو القارة الأمريكية. وخلال قرن واحد فقط لن يبق من مجموع ١٠٠ مليون نسمة —وهم السكان الاصليون للقارة عند وصول الأوروبيين— سوى ١٠ ملايين نسمة. فالغزو قد أهلك تسعة أعشار السكان. وستقوم إسبانيا وفرنسا وانكلترا وهولندا بتنظيم تجارة العبيد من أفريقيا للتعويض عن نقص القوى البشرية في القارة الأمريكية بعد المجازر التي اقامها الأوروبيون لسكان القارة الاصليين من الهنود. فتم شراء ونقل ١٠٠ مليون عبد أفريقي من القارة السوداء إلى القارة الجديدة. بل، قامت هذه القوى نفسها إضافة للولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر باستخدام الصينيين لبناء قناة بنما. في نفس الوقت قامت فرنسا في بدايات القرن العشرين باستيراد العمال من البلاد الإسلامية في شمال أفريقيا للعمل في مناجم فحمها.

وترافق الاستعباد الهائل لعموم القارات مع تصميم اجرامي لتدمير بقية الحضارات. فأعطى للثقافة الغربية الدور الريادي. أما ماعداها فلم يعد يعني بالنسبة «للحضارة» الغربية سوى جماهير متماثلة من المتخلفين، هويتهم الوحيدة بطاقة اللون التي الصقها الأوروبيون انطلاقاً من بشرتهم: فصاروا صفراً وسوداً وحمراً وسمراً. فأول معادلة يمكن وضعها لتعريف أساس الحضارة الغربية هي:

العنصرية × الحرب التوسعية = الاستعمار

وظهرت القومية على نفس الشاكلة. إذ كما لم تنفصل العنصرية عن الاستعمار منذ القرن السادس عشر، فأن القومية قد ظهرت منذ القرن التاسع عشر باعتبارها الخلاص الأوروبي الجماعي. وهكذا قادت القومية إلى تدني متزايد للقيم الروحية التي انحدرت بها إلى مستوى الرابطة الاقليمية الحيوانية.

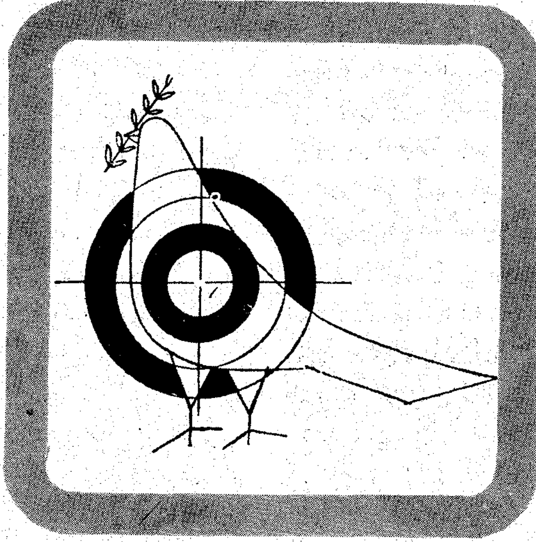
إن تنامي العنصرية والقومية باعتبارها القيم (أو اللاقيم) الغربية قد تجسد في هذا الانحطاط الروحي المتمثل بالفاشسية المستبدة والشمولية.

إن هذه الحرب التي مضى عليها عشرة قرون والتي يشنها الغرب ضد الانسانية جمعاء قد وصلت نهاياتها. وإن جميع الوقائع تبرهن على ذلك:

إذ تمتلك القوى العظمى اليوم من القدرات مايمكنها من تدمير الكرة الأرضية عشر مرات. وإن تكون هذه القدرات التدميرية المجنونة قد استوجب نهب ٨٥٪ من ثروات الكرة الأرضية ومراكمتها في إيدي هذه القدرات. هذه هي نتائج المنطق الأوروبي للنفي والتدمير.

وهكذا تطورت العملية التاريخية الغربية حيث تتفاعل النزعات العنصرية والاستعمارية والقومية والاستبدادية الشمولية، تطورت على انقاض القيم الدينية لتحل محلها قيماً خادعة تمّ بالتدريج تعميمها وهي:

العقلانية (ألهة العقل في فرنسا زمن الثورة)
الليبرالية (السيادة غير المحدودة للفرد)



الديمقراطية (السيادة المطلقة للشعب ومن ثم للجماهير).

ولأحلال هذه القيم الخادعة، كان لابد من القيام بحملة لأشاعة **الألحاد** والعلمانية. وبالمقابل، وبدل ان تقود الماركسية الأوروبية إلى تحرير الشعوب، كما اعتقدت، فأنها ساهمت أيضاً في إقامة هذه العدمية. فاقتلعت جميع الجذور الاجتماعية والثقافية والدينية للشعوب (وهذا هو مفهومها للبروليتاريا).

وهنا أيضاً، نفذت الماركسية مشروعها بعد ان قضت على القيم الروحية داعية لعبادة القدرة الصناعية والعلمية والتقنية. فقاد هذا التقديس الأعمى الممتزج بتاريخ الماركسية ذاتها إلى رسم نموذجٍ بائس يتمثل بسلطة شديدة المركزية ونظام الحزب الواحد ومجازر معسكرات الاعتقال. فاستحال علاج المسألة الفلاحية واقتلعت البروليتاريا من جذورها بفعل الدعاية العنصرية المتزمتة وشيوع الالحادية والمادية تحت اشراف الحزب الواحد.

هنا يجب إبداء الملاحظة التالية وهي: إن الغرب بسبب امتلاكه القدرات الهائلة قد استطاع إلى الآن من السيطرة على الفوضى التي تفرزها قيمهُ. نضيف إلى ذلك أمراً آخر وهو ان التعامل مع النقد والعقلانية والديمقراطية والليبرالية والنزعة العلمية باعتبارها قيماً خادعة لا تعني بأي شكل كان باننا نقف ضد العلم والعقل، أو اننا لا نقف مع النضالات ضد عدم المساواة والاستقلال والسيطرة. أو اننا لا نسعى إلى حكومة تقف بالضد من احتكار السلطة. فما ننتقده هو الاطلاق الذي يدفع اليه الغرب لكل قيمة من تلك القيم وبانعزال عن الأخرى.

أكثر من ذلك، ان نؤكد إن الفاعلية العلمية والتقنية قد تطورت في إطار حضارات مختلفة. وبأن العيش في إطار الجماعة قد أوجد العديد من أنظمة الاجتماع والحكومات القادرة على ضمان المسؤولية الفردية في إطار الجماعة.

وفيما يخص الأمة الإسلامية، فأنها كانت بأستمرار في الخط الأمامي في هذه الحرب المفروضة من قبل الغرب ضد الحضارات الأخرى، والتي بدأت منذ عشرة قرون، أي منذ الحروب الصليبية مروراً بتدمير الاندلس وحملات نابليون بونوبارت في الشرق الأدنى والإستعمار الإستيطاني للجزائر وحرب الريف والحرب الجزائرية وصولاً للتوسع الصهيوني الجاري الآن.

لهذا ليس من المستغرب اليوم أن تواجه حركة الصعود الإسلامي المعاصر تحالف كل القوى الاستعمارية الغربية: الولايات المتحدة، الاتحاد السوفياتي، فرنسا وبريطانيا.

د عبدالحليم هربت

المقاومة الفلسطينية
على مفترق الطرق

بعد النكبة الأولى 1948 وكنتيجة لها عاشت الساحة الفلسطينية تمزقاً وتشرذماً عنيفاً ومرت فترة ترقب ليست قصيرة قبل أن يتحسس الفلسطينيون طريقهم إلى العمل المسلح ضد الكيان الصهيوني.. ولقد قدم الفلسطينيون صوراً بطولية في العمل الفدائي في الخمسينات ولكن كل هذا الجهد كان يحدُّ بسقف طموحات الأنظمة وأجهزتها.

وجاءت فتح في منتصف الستينات متجاوزة الأشكال السابقة في النضال والتي كانت تفرخ في حضن الأنظمة.. وحددت «فتح» هدفها الاستراتيجي وهو «تحرير فلسطين» طارحة أسلوب الكفاح المسلح والحرب الشعبية طويلة الأمد.. وعلى أساس أن يحدث هذا التجمع المطلوب في إطار وطني فسيح ينضج أطروحاته عبر النضال والمواجهة بدلاً من وضع إطار أيديولوجي منذ البداية.. وطرحت فتح أنَّ على كل من يلتحق بصفوفها أن يتخلص من إنتماءاته الحزبية ويحصر جهده وفكره في برنامجها. وهكذا أمسكت بزمام المبادرة وتقدمت كجزء من رد الأمة على التحدي وركائزه وكانت بهذا تجاوزاً للقوى الفلسطينية وللواقع الرسمي المحيط بفلسطين.. مما دفع القوى المعادية إلى العمل على تقنين هذه الظاهرة تمهيداً لتحجيمها والتخلص منها.. وقد مهدَّ تبنيها للواقعية السياسية على صعيد بناء النظرية السياسية أخطر «مطب» تستطيع عبره القوى المعادية تمرير خططها، تارة بالترغيب ومرَّات بالترهيب. والحديث عن «فتح» هنا يساوي الحديث عن م.ت.ف التي استطاع برنامج فتح أن يقودها إعتباراً من عام 1969 عندما دخلت كل الفصائل في وحدة في إطار منظمة التحرير.

وفي تلك السنين التي تأجج فيها العمل الفدائي داخل الأرض المحتلة بفعل عدة فصائل فلسطينية: قوات التحرير الشعبية، فتح، الجبهة الشعبية كانت الأطراف العربية تسعى نحو تحقيق إنسحاب اسرائيلي من الأراضي التي احتلت عام 1967 بالعمل السياسي تجسيداً لقرارات القمم وكانت في الساحة الدولية عدة مؤتمرات.. رباعية (بريطانيا- فرنسا- أمريكا- الاتحاد السوفييتي).. ثم ثنائية (أمريكية سوفيتية)، من أجل وضع حد لأزمة المنطقة وهذا بالتأكيد يعكس لنا رؤية الغرب

الواحد في تهدئة بؤر التوتر كي لا يؤدي التأزيم إلى مواجهة بين الكبار وهم من خلال هذه المؤتمرات كانوا يحاولون أن يكرسوا تواجدهم عبر شرعية بعضهم لبعض.

منذ ذلك الحين والساحة تشهد مسيرة التسوية والتي كانت تجسد إرادة الغرب الرأسمالي والاشتراكي معاً في حل القضية وفي نفس التوجه الذي جمعهم كانت هناك صراعات من كل طرف للتفرد بالحل لكي يسهل له السيطرة على منطقة هامة على الصعيد الإستراتيجي. فأمريكا وحلفاؤها عملوا على التخلص من الوجود السوفييتي في المنطقة... والسوفيات من خلال توافقهم مع أمريكا على التسوية كان لإحساسهم خطورة الاعتماد على الأنظمة أو الأحزاب اليسارية في الحفاظ على موطئ قدم لهم فيها. على هذه الأرضية كانت تتشكل طبيعة كل مشاريع التسوية في المنطقة. وأحببنا أن نشير إلى ما فات ليلقي مزيداً من الضوء فيما بعد على خاتمة مطاف المقاومة حيث تمت زيارة عرفات لمصر ومطالبته بإرجاع مصر إلى الحظيرة العربية!!

نعم أخيراً دخل عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مصر حسني مبارك.. مفاجئاً كثيرين حتى ممن يميلوا إلى التفسير التآمري في العلاقات السياسية القائمة بين أطراف الصراع في المنطقة.

دخلها بعد الخروج من آخر معقل للمقاومة الفلسطينية في بلاد الطوق.. وبعد معركة ذهب ضحيتها مئات المقاتلين البواسل الذين تصدُّوا للمؤامرة العربية في محاولتها الهيمنة على القرار الفلسطيني!!.. وبلاشك إنَّ معركة طرابلس أعطت عدة دلائل أهمها:

١- تنكر القوى العلمانية -التي راهنت عليها المقاومة- لياسر عرفات.. من وليد جنبلاط حيث تصريحاته الشهيرة عن المقاومة وحيث لا رصاصة باتجاه العدو الصهيوني.. إلى جورج حاوي حيث التشهير بياسر عرفات و«يمين فتح».. وأظهرت معركة طرابلس كم هي انتهازية وهزيلة قوى الحركة الوطنية اللبنانية والتي طلبت بالأمس من المقاتلين الفلسطينيين الخروج من بيروت.. وبينت معركة طرابلس مدى خضوع الحركة الوطنية اللبنانية إلى سفراء الكبار والصغار في بيروت أو إلى دمشق..

٢- أثبتت هذه المعركة أن جميع الأنظمة العربية باشرت إما دور المشترك المباشر أو الدور المكمل اللهم إلا إذا استثنينا اليمن الجنوبي والجزائر في عملية إبادة منظمة التحرير أو تحجيمها إلى الحجم المطلوب أمريكياً.. وكان عرَّاب الهجمة كل من السعودية- ليبيا- سوريا..

٣- كشف الصراع في ساحة فتح والساحة الفلسطينية مدى تردي موقف السوفيات الذين راهنوا على العلاقات الهشة مع النظام السوري وكان موقفهم رهين الحفاظ عليها لاعتقاده أنها آخر موقع يمكن أن يجعل منهم طرفاً في المنطقة ويسمح لهم بإعادة الاعتبار بعد هزائم متتالية إستراتيجية أمام السياسة الأمريكية.

٤- إن اليسار كفكرة علمانية تغريبية ستلجأ بالضرورة عاجلاً أم آجلاً لتصفية الحسابات عن طريق العنف الدموي ورغم أنَّ هذا ليس جديداً على اليسار بشكل عام لكنه بادره جديدة في الساحة الفلسطينية والساحة الفتوحية بشكل خاص.. فتح التي كان فخارها أنها



مجمع كل الأيديولوجيات وبهذا سقط اليسار في لعبة نعتقد أنها أكبر من حجمه ليصبح نتيجة ذلك أداة في مشروع إحتواء القرار الفلسطيني ووضعه في أجهزة الاستخبارات العربية وسنناقش هذه النقطة بعد قليل إن شاء الله..

ومع سقوط اليسار سقطت أطروحة فتح عن تجميع كل الإتجاهات في إطار تنظيمي واحد.. وبدا جلياً أن مظهر القوة الذي كانت تفتخر به فتح بتجميع كل أبناء الإتجاهات كان مكمن ضعف خطير يعتبر بمثابة قنابل نووية..

٥- أثبتت معركة طرابلس أن الإسلاميون وحدهم هم الحليف الاستراتيجي للمقاومة الفلسطينية في الدفاع عن الشعب الفلسطيني المظلوم.. لا يبتغون أجراً إنما هو الواجب.. ولقد سجل الشيخ سعيد شعبان وحركة التوحيد الإسلامي موقفاً شاهداً ومتجاوزاً بلاشك في تصديه للهجمة الشرسة.. مما يطرح التساؤل وبإلحاح في الساحة الفلسطينية عن ضرورة العودة إلى الإسلام كمنهاج ومنطلق.

هذه الدلائل التي أعطتها معركة طرابلس كانت جديرة بأن تدفع ياسر عرفات أن يتخذ أحد موقفين:

إما أن يستمر في المواجهة والتصدي وذلك إستلهاماً لروح التحدي والشهادة وإستلهاماً لمواقع خاضتها المقاومة في سنينها الأولى وقبل أن يدب فيها الفساد.. يستمر في المنطقة.. خط الأمة في إرادة التصدي والجهاد.. وهذا خيار صعب ولكن في إعتقادنا أنه الأفضل.. حيث أن هذا الخط عليه حليف إستراتيجي -الحركة

الإسلامية – التي أكدت استعدادها للقتال دفاعاً عن الأمة مهما كلف ذلك. ولقد أكدت هذه الرؤية الأيامُ الصعبة التي تصدى فيها الإسلاميون للهجمة بكل بسالة.. وأن يأخذ هذا الإستمرار في المواجهة شهادته في تعرية كل الطواغيت في المنطقة بكل الوسائل.

هذا كان خيار قد ألح عليه الإسلاميون أما الخيار الثاني فهو الخروج من طرابلس وما يعنيه الخروج من إستجداء لقوى الأعداء لتأمين عملية الخروج من طرابلس وما يعنيه هذا الخروج من وقوف مع الذات ومراجعة الإستراتيجية والأفكار التي أوصلت المقاومة إلى هذا الوضع المزري.. والاستفادة من إلتفاف الشعب ووحدته التي أوجدتها معارك طرابلس الأخيرة وذلك بتعبئة الشعب والعمل على تطوير أساليب النضال في الأرض المحتلة وفهم جوهر الأنظمة كوجه آخر للكيان الصهيوني والتعامل معها على أرضية هذا الفهم.. وتبني إستراتيجية تأخذ في حسبانها المتغيرات المستجدة في المنطقة وتعمق تحالفاتها مع القوى الأصيلة والطبيعية المتمثلة في الفصائل الإسلامية الشريفة والثورة الإسلامية في إيران.. والقيام بعملية ثورة على كل الإفرازات السلبية للمرحلة السابقة والتي تضخمت في حجم الثورة حتى لكأنك اليوم لا ترى إلا الفساد والخوار في كل أجهزة الثورة!!

ولكن ياسر عرفات تخطى هذا كله وبصورة قيل أنها كانت «مخالفة تنظيمية» –كما جاء في بيان اللجنة المركزية لحركة فتح– وذهب بما يمثله من شرعية إلى مصر–مبارك.. وقبل أن نتحدث عن آليات هذه الزيارة نريد أن نلقي بعض الضوء على ما سبقها بقليل حيث

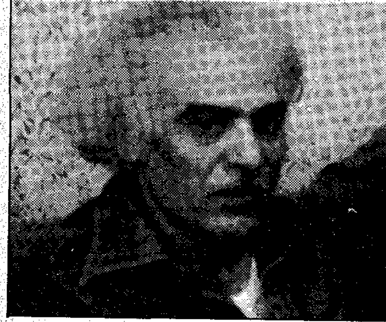


ابو موسى

المناورة–التصحيح التي حاولها يسار فتح.

بعد مجازر الأردن على يد الطاغية حسين في عامي 70-71 أصبح تيار الخيار السياسي وجماعته يتنامون في مواجهة الخيار العسكري والذي كان حتى سنة 77 يعتبر إجماعاً فتحوياً.. كان هذا التيار الذي يدَّعي مسألة الواقعية مشكل من بعض مؤسسي الحركة ونمى إلى جانبه تيار عرف فيما بعد بيسار فتح وهم مجموعة أبوصالح وماجد أبوشرار.. ومجموعة العسكريين اليساريين الذين التحقوا بفتح من الجيش الأردني بعد مجازر أيلول. وقد أصبح هذا التيار هو تيار المرحلية داخل فتح في مواجهة تيار التاريخيين والذين كان من أبرزهم أبو يوسف النجار وكمال عدوان وكان أبريل 1973 شهد إستشهاد بداية الخلل في التوازن داخل قيادة فتح حيث تراجعت إرادة القتال ليقوي تيار الخيار السياسي. ويتوج بالبرنامج المرحلي الذي وافقت عليه في نهاية المطاف الفصائل الفلسطينية جمعاء.

إذن لماذا يقف اليسار المسكوفي الفتحوي ضد التسوية الآن..؟ وهو من دعم بالأمس البرنامج



ابو صالح

المرحلي ونظر له ملياً وهو الذي ناضل ببسالة!! لجعل مشروع بريجينيف بالأمس القريب مشروعاً عادلاً في التسوية!!

لقد أدرك اليسار الفتحوي بعد خروج المقاومة من بيروت أنَّ الأوراق في المنطقة غدت جميعها في السلَّة الأمريكية إذا كان مفهوم الأوراق مراكز النفوذ في الأنظمة.. إذن فالتسوية القادمة لن يكون السوفيات فيها دور مما يعني خروج الاتحاد السوفييتي من المنطقة هذا من جهة ومن جهة أخرى دفعت سوريا أزلامها في الساحة الفلسطينية سواءً كانوا من المسكوفيين مثل قدري.. أو القوميين مثل جبريل إلى العمل على إقصاء ياسر عرفات.. تشابكت عدة عوامل كان اليسار رأس رمحها في محاصرة المقاومة لشطبها وتنصيب نفسه على جثمانها!

ومع عملية التمايز والتمرد طرح اليسار عدة مطالب كانت بلاشك تشكل معظم مطامح المقاتلين الفلسطينيين.. لاسيما المتعلقة بالإصلاحات التنظيمية والمحاسبات التي تنال كثيراً من الشخصيات النفعية والقيادات الهزيلة.

وكان صعباً جداً الوقوف ضد هذا الموقف وذلك لتبنيه وبطريقة «مفذلكة» وبشكل مرتب ومحسوب هموم القاعدة الفلسطينية المعذبه!

وفي البداية وقف الجميع من هذه الظاهرة موقف التردد والتريث إلا نوعين من الناس الأول هم أولئك الذين تهددهم أي عملية إصلاح ومحاسبة حيث أنَّهم لم يتواجدوا إلا في غفلة أو شلل جهاز المراقبة والمحاسبة.

النوع الثاني: هم الإسلاميون بكل مدارسهم ومن يدور في فلكهم داخل فتح والذين يتوارثون هم واليسار عداءً أصيلاً يبدأ من إحساس الإسلاميين أنَّ اليسار ألهية من تلك التي يقذف بها الغرب في منطقتنا ليمسخ بها ذاتنا ويلغي أهم عوامل نهضتنا.. ويبدأ كذلك من إدراك اليسار أنه لن يستطيع تحقيق مطامحه في وجود العقيدة النقيض لأطروحاته.. برغم ما لجأ اليه يسار فتح مؤخراً من إستهلاك البيانات بالبسملة أو إنهائها بالتكبير!! ومع أن ردود الفعل الإسلامية تباينت إلا أنها إشتركت في رفض قطعي للظاهرة ولقد كان لمجلة «**الطليعة الإسلامية**» قصب السبق في تناول الموضوع في عددها الثامن والذي لازال بلاشك بحاجة إلى تعميق أيديولوجي جاد.

برغم هذا كان سقوط اليسار لأخطاء ذاتية إستراتيجية. فوقوفه منفرداً فلسطينياً بلا دعم جماهيري في المعركة منتهياً من «محاولة» للتصحيح والإصلاح!.. إلى مجموعات تعيش صور الفساد الأخلاقي وشراء الذمم بالترغيب المالي والمراكز والإمتيازات.. وقوفه منفرداً كان لعدة عوامل..:

العامل الأول:

فقدان مقولة الكفاح المسلح ضد خيار

التسوية مصداقتيها حيث الدلالة التاريخية والتي أشرنا إليها في بداية الحديث عن اليسار وعن قبوله بالتسوية من قناة السوفيات.. وحيث الدلالة الواقعية التي تكمن في عدم تفجيره وتصعيده للصراع المسلح ضد الكيان الصهيوني ليعوض بهذا تصعيد الأزمة فلسطينياً والدخول في علاقة تناحرية فلسطينية – فلسطينية.

العامل الثاني :

وهو أن اليسار أصبح بوعي منه أو بلا وعي بإرادة له أو لا إرادة جزءاً من الكامب السعودي – السوري في محاولة الهيمنة على مؤسسات المقاومة لتتحجم المقاومة إلى الشكل الذي يمكن أن تدخل به إلى مشاريع التسوية. ووجد النظام السوري فرصته التاريخية – والذي حاول إيجادها زمناً طويلاً – ليدخل التسوية وهو يمتلك الورقة الفلسطينية جاهلاً بأن الشعب الفلسطيني يمتلك حساسية مفرطة لتدخل الأنظمة في شئونه وبالذات النظام السوري ضد الكيان الصهيوني.. ولهذا المحور السعودي – السوري إنضم معمر القذافي محملاً بعداءات شخصية بالغاً سيل السباب الذي كان يوجهه لخنازير الجزيرة العربية!!.. فاكتملت حلقة التآمر لتتم عملية الهيمنة بمباركة قومية وثورية!!..

العامل الثالث

هناك جملة عوامل اشتركت في إسقاط اليسار منها العشائرية التي تطغى على توجه القيادة الإنشقاقية في عملية التحريض والتمحور.. ومنها كذلك وجود عدد لا بأس به من الشخصيات القذرة والساقطة أخلاقياً ونضالياً في صفوف المنشقين الأمر الذي يلغي مبرر الوجود ومن هذه العوامل أيضاً عدم إستيعاب المتغيرات السريعة التي نشأت بعد إعلان التمرد وتطورها.. وعامل أخير ومهم وهو عدم تجانس قيادة المنشقين لذا فقد خسر اليسار كل اللعبة.. فبشن الحرب على مخيمات الفلسطينيين والمحاصرة لقوات المقاومة أنسى الناس كل مطالبه وذكروا له فقط هذه الخيانة البشعة لشعبنا والمقاومة وأصبح اليسار ركوبة سورية – ليبية – سعودية أي المحور الثاني في الحل التسووي..

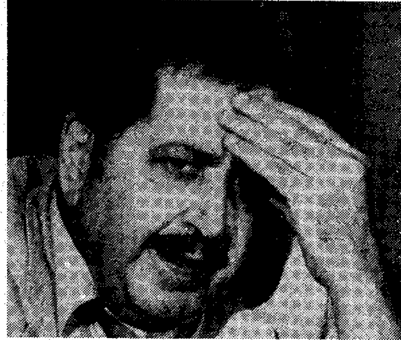
نعود الآن حيث الزيارة وآلياتها..

لقد حدثت الزيارة كتتويج لتوجهٍ سياسي تعيشه قيادة المنظمة منذ عدة سنين وكما أشرنا سالفاً..

وقد وجد عرفات نفسه مع التشتت الجديد أمام الحلقة الأخيرة والتي أصبح في حل معها أي التزام مع اليسار ومحور سوريا.. أمام الحلقة الأخيرة. وهي الدخول إلى عمان أو القاهرة..

فقفزت الورقة الفلسطينية من محاولة الهيمنة السورية إلى المحور الآخر في التسوية محور مبارك لأعطاء مصر عنصر قوة أخرى في الحلول التسووية في المنطقة وكان يدرك عرفات أن ذهابه لو حدث لعمان بدءاً لكان مرفوقاً بورقة توكيل موقعة للملك بالتفاوض نيابة عن الفلسطينيين!!.. إذن فليذهب عرفات إلى مصر كمركز ثقل أمريكي أكبر في المنطقة ويذهب بحسني مبارك كورقة تحدث بعض التوازن في العلاقة بالأردن..

حدثت الزيارة في مرحلة صعبة يعيشها الشعب الفلسطيني وتعيشها شعوب الوطن الإسلامي بشكل عام.. فالشعب الفلسطيني



خالد الحسن

يواجه الشتات الذي لم تعرف مجريات التاريخ له مثيلاً وما يؤدي إليه من ضغوط نفسية ومعيشية لا تطاق والشعوب المسلمة مسلط عليها حكام طغاة يسومونها سو العذاب ويسومونها التغييب عن قضاياها الجوهرية.

حدثت الزيارة والفصائل الفلسطينية الأخرى التي رفضت الزيارة عاجزة عملياً أن تبطل الزيارة أو أن تعمل في الإتجاه المعاكس أي أن تقوم بتصعيد الكفاح المسلح وفق برنامج سياسي راديكالي يوحد الشعب ضد الكيان الصهيوني ويعري محاور أمريكا في المنطقة سواء المحور السعودي – السوري – الليبي أو المحور المصري – الأردني – العراقي بل إن هذه الفصائل تعيش تقاطعات تصغر أو تكبر مع أطراف في هذه المحاور مما يعني إفلاسها في أي محاولة للتصدي.

وهنا نتساءل ماذا كسبت الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني من نقل الصراع ضد التسوية إلى الصراع على أرضية التسوية؟!

أن فتح التي انطلقت متجاوزة وضع الرسمية العربية ورداً على ارتباط م. ت. ف بالأنظمة.. أصبحت تتعاطى مع الحول التسووية ووجدت نفسها الآن أحوج ما تكون للتعاطي مع الواقع الرسمي العربي وأصبحت تحسب له ألف حساب.

– ثم انها تحولت كذلك إلى مجموعة مؤسسات وكأنها دولة في المنفى وافتقدت لأدنى معالم الثورة بسبب انشغالها بالتحضير للدولة حسب الوعود.

– ثم ها هي تفقد مؤخراً عامل أساسي مبرر وجودها وهو الأداة العسكرية كل هذه الخسارة كانت نتيجة القناعة بالتسوية والحل السلمي..

– ثم تخليها عن حليفها الاستراتيجي في خندق الكفاح، الحركة والجماهير الإسلامية.

إنَّ الرهان التسووي خاسر بلاشك لأنه يلغي من حساباته الإستراتيجية الصهيونية القائمة على التوسع والقوة العسكرية الصهيونية والدعم الغربي للكيان الصهيوني وعجز الأنظمة عن ممارسة أي ضغط نتيجة وضعها الذاتي الضعيف والهزيل..

الرهان التسووي خاسر أيضاً لأنه يقوم الآن على أرضية الضعف الفلسطيني والشتات الفلسطيني.

وهو خاسر لأنه يلغي حق الأجيال في الكفاح والجهاد لتحرير كل فلسطين وما هي إلا مرحلة لن تكون إلا قصيرة لتكشف تماماً أنَّ كل الوعود التي أعطيت ما هي إلا مضيعة للوقت لتطبيع واقع الشتات والضياع.. وكما ذهبت هدراً كل الوعود التي أخذت في بيروت والتي جعلت عرفات يقول يومها إنني لن أخرج من بيروت إلا إلى القدس فستذهب الوعود هذه المرة كذلك.

عرفات يظن أنه يجيد اللعب على المحاور الموجودة في المنطقة ولكن كان عليه أن يفهم أنه لا تناقض حقيقي بين محوري أمريكا في المنطقة بل كل منهما يهيئ الفرصة للآخر.. وذلك لوضع عرفات والمنظمة في القفص ثم إلى التسوية الأمريكية !

المؤامرة ضخمة وشرسة بلاشك وذلك لأنها ليست محصورة في منطقة فلسطين وطوقها بل هي تمتد إلى أجزاء الأمة المقاومة.. والذين يديرون الصراع ضدنا في منطقتنا ينظرون إلينا كأمة واحدة فيحاولون إحباط كل مراكز المقاومة في جسمنا الإسلامي..

ولكن المعطيات المضادة والتي تعتبر زيارة عرفات بما تعنيه من إفلاس لكل الأطروحات التي ولدت خارج التصور الإسلامي لطبيعة الصراع تتكاثف الآن في بعث فعل إسلامي من أعماق هذه المنطقة في مواجهة كل مشاريع التسوية ومناهج موازين القوى ! !

ودلائل هذه المعطيات الفذة تتضح بشكلها الجلي في المقاومة الإسلامية البطولية في لبنان.. في وجود حركة التوحيد الإسلامي ومواقفها المشرفة.. في الانتفاضة الإسلامية المباركة في الأرض المحتلة.. في صحوة الكثير من المقاتلين الفلسطينيين وعودتهم إلى الذات الأصيلة.. في الرفض الإسلامي الصامد في سوريا.. كل هذا يتجمع اليوم مسكوناً بالفرح المقدس للشهادة وعلى أرضية التوكل على الله والإعتماد على النفس.

المطلوب اليوم أن يباشر المسلمون مهمتهم في إحباط كل الخطوات التسووية وإسقاط كل مشاريع تصفية القضية الفلسطينية وذلك



لماذا كانت الجماهير تضحي ولازالت؟

بالفعل المتصدي أساساً للثكنة العسكرية الإقتصادية الصهيونية وللأنظمة الموزعة على محاور الغرب الكافر..

إنّ الحق يقف اليوم كله في صف واحد والباطل والنفاق والكفر والغرب كله يقف في صف واحد مضاد.. المعركة اليوم بين أولياء الحق وأولياء الشيطان «إذ يوحي ربك للملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب..» نعم سيتحقق وعد الله بالتمكين والنصر للإسلام والمسلمين وستسقط بأمر الله كل مشاريع التسوية على صخرة المقاومة الإسلامية الباسلة «.. ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» صدق الله العظيم

صلاح الدين مجاهد
سيف الدين مجاهد
الجزائر

مدخل الى ازمة الفكر والنظام العربي

غزو اسرائيلي يجتاح لبنان في الرابع عشر من شعبان سنة ١٤٠٢هـ، الموافق السادس من حزيران السنة ١٩٨٢م. وقد سبقه قصف تمهيدي طوال يومين.

الشقيف والنبطية وصور وصيدا والدمور والرشيدي وعين الحلوة والبرج الشمالي وعشرات القرى الجنوبية تتعرض أياماً طوالاً للحصار والقصف والحرائق والدمار، وتشهد قتال شوارع من بيت لبيت.

وبيروت العاصمة تتعرض لحصار دام حوالي ثلاثة أشهر، وقد وصل القصف الجنوبي الذي انهال على رؤوس أهلها، في بعض الأيام، إلى مئات الآلاف من القنابل. وتتكرر محاولات اقتحامها، وترد على اعقابها مرات ومرات، ثم تحتل بعض اجزائها.

وأخيراً تنسحب القوات الفلسطينية وقوات الردع العربية من بيروت عبر اتفاقية رعاها فيليب حبيب المندوب الأمريكي الخاص. ويبقى الاحتلال الاسرائيلي يحاصر الجانب الغربي من العاصمة ويحتل الجانب الشرقي. ثم تحت ظل مدافعه يجري انتخاب بشير الجميل قائد «القوات اللبنانية» فيشعر المسلمون في لبنان وخارجه بجرح في الكرامة عميق جدا.

وتتعرض صبرا وشاتيلا إلى مجزرة رهيبة تقترفها قوات من حزب الكتائب الماروني تحت اشراف الجيش الاسرائيلي[1] الذي عاد فاحتل غربي بيروت، بعد الانسحاب المسبق المريب للقوات الأمريكية–الفرنسية– الايطالية التي ضمنت الانسحاب الفلسطيني، وحياة المدنيين في المخيمات.

ويصبح الجنوب، بالإضافة إلى الاحتلال الاسرائيلي، رازحاً تحت طغيان قوات سعد حداد، وقوات من الكتائب لتستمر عمليات الاغتيال والخطف بحق الفلسطينيين المدنيين، والجنوبيين اللبنانيين المعارضين للاحتلال.

وتعرض الجبل، بدوره، بعد الاحتلال الاسرائيلي إلى دخول قوات من الكتاب اليه ليبدأ مرحلة صراعات دامية شجعتها القوات الاسرائيلية بهدف دفع الأمور إلى إقامة ما يشبه الدويلات الطائفية.

ووقف وسط ذلك كله مقاتلون مجاهدون نشاركهم المصير، في المقاومة، جماهير من

فلسطين ولبنان يدافعون ويجترحون البطولات ، وقد سطروا آيات من الشجاعة والبسالة في مواجهة عدو يفوقهم عدة وعتادا وعديدا . مما جعلهم يقدمون التضحيات الغالية ، وجعل المعتدين الآثمين يتكلفون ثمنا باهظا في الأرواح والمعنويات والمعدات ، ويخسرون من سمعتهم العسكرية الشئ الكثير[٢] .

وهكذا .. اجتياح اسرائيلي بالقوات العسكرية الجرارة وبالنيران الكثيفة لجنوبي لبنان وجبله وعاصمته . وقيادة القوات اللبنانية المارونية لا تخفي ترحيبها بالغزو ، والجيش اللبناني يقبع في ثكناته كأن الأمر لا يعنيه ، ورئيس الجمهورية لا يعلن النفير ، وانما يوجه ضغوطه إلى المقاومةالفلسطينية لتنسحب من لبنان . وتضرب صواريخ سام في البقاع ، وتوجه ضربه إلى قوات الردع العربية . وتنسحب قوات الثورة الفلسطينية من بيروت ، ويرزح القسم الأعظم من لبنان تحت الاحتلال . والمقاومة الشجاعة الاسطورية التي ابداها المجاهدون في لبنان وقفت وحيدة تنتظر النجدة التي لن تأتي .

وأمريكا .. الثعبان الامبريالي الرهيب يدعم الغزو بكل الوسائل والسبل ، فيمده بالمساعدات المالية ويشحن له الأسلحة الأكثر فتكا ، ويبعث مبعوثه فيليب حبيب وسيطا ليكلل بالاتفاقيات أهداف الغزو .

وأوروبا الغربية تستر تواطؤها مع أمريكا والغزو الاسرائيلي ببعض التصريحات المتحفظة على الاجتياح . فينخدع بها من كان هواه الانخداع .

والاتحاد السوفياتي صاحب صواريخ سام في البقاع ومطلق تصريحات التحذير من أي غزو اسرائيلي للبنان يتغيّب فجأة غيبة لم يستطع تفسيرها دعاة التحالف الاستراتيجي معه .

الدول الصغيرة والمتوسطة من بلدان العالم الثالث تطلق أصوات الاستنكار ضد الغزو ولكنها أصوات نابعة من شعور بالعجز أمام ارادة «الكبار الاقوياء !» .

إلى هنا يبقى كل شئ مفهوما في تلك الجوانب من الصورة ، بالرغم مما يعتورها من تعقيد وتداخلات ، وما تبعثه في النفس من جراح وآلام وأحزان تختلط بمشاعر الفخار بالشهداء والأبطال الذين صمدوا وقاوموا .

على ان ثمة جانبا من الصورة يحتاج إلى وقفة خاصة ، وهو المتعلق بالموقف العربي الرسمي عموما . ذلك الموقف الذي صم الآذان عن سماع التساؤل الذي ووجه به من قلب الحصار ... «اليس هذا هو القهر والذل والهوان؟ ...» أين الاسماء الكثيرة الصغيرة؟ أين الألقاب الرنانة؟ في ساحة الحقيقة تجلت الحقائق وانكشف الستر ، شقت الحجب ، الم يبق في الملعب المسعور طاعته» [٣] .

هذا «الصمت العربي» .. هذا «الجدب العربي» [٤] .. هل هو عجز أم عن تواطؤ؟ هذه الأوصاف والتساؤلات كانت أقل ما ووجه به في أيام الغزو الموقف العربي الرسمي الذي يمتلك جيوشا يتجاوز تعداد بعضها مئات الألوف . واذا جمعت عدت بالملايين . وكلها تحمل ألقاب الباسلة ، والشجاعة ، والبطلة ، والمغوارة ، وتعج ترساناتها بالاسلحة والمعدات من طائرات ودبابات وبوارج ومدافع وصواريخ . ويمتلك هذا الموقف العربي الرسمي أيضا امكانات اقتصادية هائلة وفي مقدمتها



غزو لبنان

النفط والأموال المختزنة في مصارف أمريكا وأوروبا . ناهيك عن عشرات الملايين من الجماهير التي لو هدرت لحسبت أن الأرض أخرجت أثقالها . ولكن شيئا من ذلك لم تدخلهُ الأنظمة العربية في حسابها فلم تسع إلى نجدة اولئك الأبطال الذين قاتلوا من الشقيف إلى بيروت . فالجيوش لم تتحرك ولم تحرك ساكنا ، والنفط لم يستخدم ولم يلوّح باحتمال استخدامه . والنقد العربي المسمى «البترودولار» الذي يختزن ويرابى به لم ينقل بعضه من مصرف إلى مصرف ليشعر أمريكا بإمكانية الضغط من خلاله . والأسواق العربية لم تلغ فيها طلبية استيراد واحدة ولو كإنذار غير مباشر لمن يعنيه الأمر ممن هم وراء الغزو . ومشاريع الدول العربية مع الشركات الأمريكية–الأوروبية المتعددة الجنسية لم يطلب ان يعاد النظر بإحداها ، وأقلها تبلغ عشرات الملايين من الدولارات . أما سلاح الجماهير فمن المنطق ، والحالة هذه ، ان يحُظر استخدامه ، ويقمع بلا رحمة كل من يحاول ان يدعو إلى تظاهره أو يسير بتظاهرة .

ويمتلك الموقف العربي قوة سياسية ودبلوماسية لا يستهان بها ولكنه لم يستخدمها إلا في الرجاء والاستعطاف في مناشدة أمريكا بالتدخل لتخفف وتلطف من هول ما يحدث ، بدلا من ان تعاقب وتناكف وتحارب بسبب مشاركتها في وضع أهداف الاجتياح ودعمها له . أو على الأقل ، بسبب ما قدمته يداها للدولة الاسرائيلية من أسلحة ومعدات كانت عماد تلك الحرب ، وما منحته أياها من مساعدات اقتصادية ومالية غذت تلك الحرب وغطّت تكلفتها . هذا دون ذكر الدعم السياسي والدبلوماسي والاعلامي ، ودون التعرض لدورها في تكبيل عدد من الدول العربية وغير العربية عن التحرك ضد العدوان الاسرائيلي ، بما في ذلك عقد صفقات على مستوى دولي لتمرير ما حدث في لبنان .

ولهذا كله استحق الموقف العربي الرسمي من تلك الحرب وقفه خاصة.

«وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم» (٥)

صدق الله العظيم

ماحدث في بيروت شكل في وجه من وجوهه، نعمة على الأمة. فقد كشف جوانب هامة مما يسيطر عليها من زيف ومرض وشلل. وما يعتورها من عوامل عجز ووهن وخور. وربما كان التمهيد لزلزال لابد من ان يهزها هزا شديدا عساها تنفض عنها هذه الحالة التي هي عليها فتعرج على طريق نهضة حقيقية.

أمام الذي حصل في لبنان، وفي بيروت خصوصا، صرت تسمع رأيا يشترك فيه الكثيرون، ان لم تكن الأغلبية من الناس، بما في ذلك أهل الاحزاب والحكم ورجال الصحافة والفكر، يقول اننا نعيش «في زمن الاهتراء العربي»(٦)، أو في «زمن الانحطاط العربي»(٧) أو في «الزمن الاسرائيلي الأمريكي»(٨). وصرت اذا ما تساءلت: هل من خلاص أو حل؟ أو أمل بخلاص وحل؟ تأتيك اجابات كثيرة أغلبها يميل إلى يأس وقنوط. واذا تجرأ بعضها على التفاؤل كان ذلك على اللسان لا من القلب. وقد يأتي جواب: «لابد من حدوث شئ، ولكن متى وكيف؟ لا أحد يعلم».

لاشك في ان المناخ الذي يلف العاملين في الحقل العام ممن هم على مسرح الأحداث يكشف عن أزمة حادة في الفكر والسياسة. وما ذلك إلا الانعكاس لأزمة وضع بأكمله. لقد حدثت أزمة عامة في الوضع العربي أثر نكبة فلسطين بإقامة «دولة اسرائيل» في العامين ١٣٦٨-١٣٦٩هـ، الموافق ١٩٤٨-١٩٤٩م.

ولكن لم تحدث أزمة في الفكر والسياسة، خصوصا، في أوساط القوى المعارضة والشعبية. فقد حُملت مسؤولية النكبة للأنظمة العميلة للاستعمار. وكان الجواب هو الثورة على تلك الأنظمة، واستبدال أنظمة وطنية أو قومية بها. أي كانت الاجابة، سواء أعن حق أو دون حق، جاهزة، واضحة، مقنعة لقطاع عام من المثقفين والعاملين في حقل الأحزاب المعارضة، خصوصا، في أوساط الشباب من ضباط الجيوش التي ذاقت مرارة الهزيمة والنكبة والعار. الأمر الذي ولد، فيما بعد، سلسلة من الانقلابات العسكرية في عدد من البلدان العربية. وأوصل ممثلين عن أحزاب وطنية وقومية إلى الحكم في عدد من الحالات. والغيت معاهدات مع بريطانيا وفرنسا، وصُفيت قواعد عسكرية، وشركات أجنبية. وبلغت تلك الانجازات أوجها، في العام ١٣٧٨هـ، ١٩٥٨م، من خلال اعلان الوحدة بين مصر وسورية، وضرب حلف بغداد بإخراج العراق منه. ولقد ظن الكثيرون في تلك الحقبة أن الأمة أخذت طريقها على السكة الصحيحة، أو أنها في طريقها لتحقيق أهدافها في التحرر والوحدة وتحرير فلسطين.

وجاء العام ١٣٨١هـ، الموافق ١٩٦١م، ليفجر أزمة عامة بانفصال سورية عن مصر، وهي نكبة قد تضاهي نكبة فلسطين. ولكن كان يكفي، في حينه، ابدال شعار بشعار، والاعلان بأن «ساعة العمل الثوري قد دقت»(٩)، وكان محتوى ذلك السير على طريق

التأميم-الاشتراكية، حتى يبدو ان طريق الحل للأزمة العامة قد اكتشف. فطريق الاصلاح الاجتماعي الذي محتواه التوسع بالتأميم والاصلاح الزراعي سوف يُجذّر الوضع الداخلي، ويخلّص الأمة من بعض الطفيليات ويسير على طريق تعزيز العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ومعاداة أمريكا. وبهذا، مرة أخرى، ظن الكثيرون في تلك الحقبة أن الأمة أخذت النهج الصحيح وأصبحت في طريقها إلى تحقيق أهدافها في التحرر والوحدة وتحرير فلسطين، والاستقلال الحقيقي والعدالة الاجتماعية.

وأتى العام ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧م لتندلع أزمة عامة كبرى نتيجة حرب حزيران. فقد وصل الاحتلال الاسرائيلي أثرها إلى قناة السويس ونهر الأردن وما بعد القنيطرة في الجولان. ولكن كان يكفي ان تعلن حركة «فتح» بدء حرب المقاومة الشعبية لتتلقفها الأنظمة العربية وأجهزتها الاعلامية بالتهليل والترويج في محاولة لاستيعاب الأزمة العامة، وكذلك فعلت الاحزاب المعارضة. وبدا كأن الأمل في الخلاص قد حددت معالمه. وكان يكفي، أو ظن أنه يكفي، ان تعلن مصر الصمود واعادة بناء جيشها وان تحدث بعض الانقلابات العسكرية التي ترفع شعارات وحدوية، أو شعار حرب التحرير الشعبية، أو الحرب العربية حتى يظن الكثيرون أن الأمة تعلمت من الدروس السابقة، وأنها أخذت تسلك الطريق الصحيح نحو أهدافها. حقا ان الأزمات، أو الأزمة العامة، ماكانت لتنقشع خلال كل تلك المراحل، وما كان العدو الاسرائيلي ليبخل في الخمسينات، أو في الستينات أو في السبعينات عن ارسال التذكير بأن حلولكم المقترحة أوهام، أو أن انقلاباتكم الثورية ومشاريعها ليست طريق الخلاص. ففي ربيع أول ١٣٧٦هـ الموافق ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٦م. حدث العدوان الثلاثي. وقد اجتاحت القوات الاسرائيلية سيناء، ولم تخرج منها إلا باتفاقية تضمنت اخلاءها من الجيش المصري، ووضع قوات دولية مكانه، وقامت بغارات متفرقة قبل ذلك وبعده على عدد من أراضي البلدان العربية (الأردن، سورية، لبنان)، ولكن كل ذلك التذكير كان يجد المسوغات لئلا يؤخذ بعين الاعتبار. وكان العقد يمضي على الأمل اياه ولو أحيانا ببعض التعديل. وفي عام ١٣٨٤هـ الموافق، أواخر ١٩٦٣م، قامت الحكومة الاسرائيلية بتحويل مجرى نهر الأردن، وهددت باحتلال المنابع اذا نفذ العرب قرارهم بتحويل مضاد من المنابع وفق ما أعلنته القمتان العربيتان الأولى والثانية ١٣٨٣هـ، و١٣٨٤هـ الموافق أوائل وأواخر ١٩٦٤م، وأكدت جدية التهديد بشن هجمات على بعض الحدود العربية لتذكر ان ما عقدتم عليه الآمال بعد ١٣٨١هـ، ١٩٦١م لن يحل أزمتكم العامة... أما بعد ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م وبروز أمل المقاومة الفلسطينية والدعوات لحرب عربية شعبية أو رسمية، وبعد خطط التسليح الجديدة واعادة بناء الجيوش على ضوء التجربة «المستقاة» من حرب حزيران، فقد أرسلت القيادة الاسرائيلية عدة رسائل بعد ١٣٨٧-١٣٩١هـ (١٩٦٧-١٩٧١م) ممهورة بالعدوان أو التهديد الصارخ، كما حدث في الأردن بين ١٣٨٨-١٣٩١هـ/

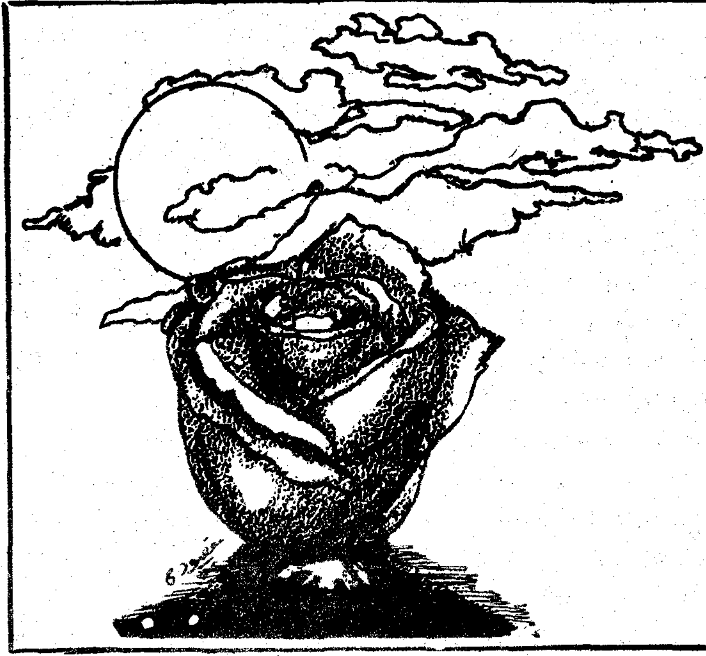
١٩٦٨-١٩٧١م، أو كما حدث مرات عديدة بعد ذلك في لبنان. ولكن كل ذلك التذكير ما كان لينفع، كأن لسان حالنا يقول: لا تذكر فالذكرى لا تنفع القوم الغافلين.

وجاءت حرب رمضان ١٣٩٣هـ، الموافق تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م، لتطلق ومضة أمل من خلال أولئك الأبطال الذين اقتحموا على العدو متاريسه وراء ضفة قناة السويس وفي الجولان، ولكن سرعان ما امتد الجسر الجوي الأمريكي ليمنع تلك الومضة من ان تتعدى حدود الايماضة السريعة.. ثم جاءت بعد ذلك سياسات السادات كأنها تعلن الندامة عن تلك الحرب دون أن تكون قد هزمت فيها. وكأن لسان حالها يقول من العيب ان لا نكون مهزومين فلذلك علينا ان نحوّل بأيدينا الضربة اليتيمة الموفقة في العبور إلى قناة السويس إلى هزيمة اسوأ من هزيمة ١٣٦٩هـ، ١٩٤٩م، أو ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م وبدا خط التقهقر مع مفاوضات كيلو ١٠١ ثم كان الاستسلام في ذهاب السادات إلى القدس، ثم اتفاقيات كامب ديفيد. وكان هذا وذاك أشد هولاً من الهزائم العسكرية في الميدان. فالهزيمة في الحرب لا تعيب المقاتل لأن كل من يحمل السلاح ويقاتل لابد من ان يفر ويكر، ولابد من ان يذوق طعم الهزائم والانتصارات. ولكن العيب والعار يكمنان في الاستسلام والرضوخ والتخلي عن روح المقاومة والاستمرار.

في الحقيقة لم يكف ما فعله السادات تتويجاً لتلك المسيرة الطويلة من الهزات والنكبات أو الأزمات العامة لكي تصل الأمور إلى منتهاها. لأن العملية السابقة اياها عادت فتكررت ببروز جبهة الصمود والتصدي من جهة ومؤتمر بغداد من جهة أخرى. فقد قدمت جبهة الصمود والتصدي نفسها جوابا وأملا في الرد على كامب ديفيد وكذلك كان مؤتمر قمة بغداد. واعتبر البعض أن المعاهدة السورية-السوفياتية وما تلاها من تصريحات وتلميحات قد ضمنت حدود لبنان الجنوبية ووجود المقاومة الفلسطينية وقوات الردع العربية. ولكن جاء العدوان الاسرائيلي في ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ليبرز في هذه الجولة أزمة عامة لم يسبق لها مثيل. أنها أزمة بلا بصيص نور، في هذه المرة، في أعين أغلب اولئك الذين برعوا في اكتشاف الأمل والخلاص بعد كل هزة كبرى. وافتنوا في ايجاد المتنفسات في ظل الأزمات الخانقة في الماضي.

اليوم تسمع هؤلاء يعلنون «زمن الانحطاط العربي» ولا يقصدون به الأنظمة العربية فحسب، وإنما أيضا، يقصدون به كل شيء بما في ذلك قوى المعارضة. ان الأزمة في هذه المرة، شملت قوى المعارضة بالذات. وشملت كل تلك القوى والأفكار والشعارات التي شكلت في يوم من الأيام، وربما لعقود من السنين، أملا وطريقا للخلاص.

بكلمة أخرى، جاء الاجتياح الاسرائيلي الأخير للبنان لكي يكون بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير. فظهر البعير حمل الكثير خلال عشرات السنين الماضية. وما كان لينقصم مع الحمل الأول والثاني والثالث والرابع وما كان لينقصم مع عشرات القشات التي كانت تلقى عليه فوق أحماله. ولكن في هذه المرة سقط على الأرض، ولم تعد أقدامه تحمل ظهره الذي قُصم



وقُصم وناء بكلكله. فهذه القشة لم تكن أثقل من غيرها، ولكنها لما جاءت بعد كل الذي سبقها كانت لحظة انهيار السد الذي تآكل منذ زمن طويل. الاجتياح الاسرائيلي للبنان لم يكن أكبر من قيام دولة اسرائيل وتشريد شعب فلسطين، ولم يكن أكبر من الانفصال أو من حرب حزيران أو من كامب ديفيد. ولكنه كان تتويجا لشيء ما واكب كل هذا التاريخ. أما من الجهة الأخرى فلربما لم يلحظ اولئك المجاهدون الأبطال الذين قاتلوا الجيش الاسرائيلي في الشقيف والنبطية والرشيدية والبرج الشمالي وصيدا وعين الحلوة والدامور وخلده وعلى أبواب بيروت، وصمدوا فيها تحت وابل من مئات الآلاف من القذائف ووسط الدمار والحرائق والجوع والعطش، لم يلحظوا ما فعلوا في أمتهم وهم يقاتلون وصمت المقابر يريم من حولهم. عشرون دولة، وعشرون جيشا ولا من جواب على البربرية الصهيونية. عشرات الملايين من الجماهير العربية عاشت ثلاثة أشهر تقريبا وهي مأخوذة مشدوهة بما يحدث: قلة قليلة تقاتل ببطولة وتتعرض لأقسى محنة ولا دولة من الدول العربية ترمي بثقلها في الميدان لتشارك في المصير حتى لو كان على غير ما يرام. كيف يحدث هذا؟ ولماذا؟ في الحروب السابقة لم يقاتل بلد وحده، على الأقل، من الناحية الشكلية. فقد كانت هنالك مشاركة عربية باستمرار. هذا ما حدث في ١٣٧٧-١٣٧٨، ١٣٧٨، ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٤٨-١٩٤٩،

١٩٦٧ ، ١٩٧٣م أما في ١٣٧٦ هـ ، ١٩٥٦م فقد عرضت المشاركة على عبد الناصر. وهو الذي طلب البقاء على أهبة الاستعداد دون فتح جبهات أخرى. طبعا في المرات السابقة لم تكن نتائج المشاركة لتغير من الأمر شيئا ، وقيل كثير في كل مرة عن المشاركة الشكلية والمظهرية ، بل قيل الكثير عن تواطؤ. ولكن بالرغم من كل ذلك كانت هنالك مشاركة ولو ذرا للرمال في العيون ، ولو بسبب الخجل ، أو المحافظة على بعض الاعتبارات ، أما في هذه المرة فلم يحدث شيءٌ من ذلك.

ثم تأتي القضية مع أمريكا في هذه المرة لتزيد الصورة وضوحا بالنسبة إلى ما يسمى «زمن الانحطاط العربي» .. «الزمن الاسرائيلي–الأمريكي».

جاءت استقالة وزير خارجية أمريكا هيغ بعد حوالي عشرين يوما من الغزو الاسرائيلي للبنان لتؤكد بما لا يدع مجالا للشك في ان هذا الغزو قد تم بالاتفاق مع الإدارة الأمريكية[١٠] . ولم ينكر أحد في الحكومة الأمريكية المشاركة المباشرة لوزير الخارجية الأمريكية في خطة الحرب وأهدافها.. وأكدت الصحافة الاسرائيلية ، بأكثر من مناسبة هذه المشاركة. ولم يكن دور حبيب الموفد الخاص الأمريكي ، كما كشف منذ اليوم الأول إلا مكملا للغزو الاسرائيلي. بل انه جاء لتحقيق أهداف الغزو من خلال وساطته الدبلوماسية.

موقف أمريكا ومسؤوليتها عن كل ما قام به الكيان الصهيوني أبعد من ان يخالف به أحد ، بما في ذلك الملكيون أكثر من الملك الأمريكي ، فالسادات عندما قال ان ٩٩٪ من أوراق اللعبة بيد أمريكا فسر قوله بسبب امداد أمريكا لاسرائيل بالدعم الذي يبدأ من الأبرة حتى قذيفة المدفع. أما أمريكا نفسها فلا تفتأ تعلن تبنيها لإسرائيل وحمايتها لها وحرصها على أمنها. وما من دولة في العالم من حلفاء أمريكا تفوقها بالحظوة لدى الكونغرس الأمريكي[١١] . وقد راحت الإدارات الأمريكية المتتالية تذكر العرب بكل مناسبة انها وراء كل ما تفعله اسرائيل ابتداء من اغتصاب فلسطين وإقامة الدولة ومرورا بحروبها العدوانية المختلفة وانتهاء بتثبيت الاحتلال الناجم عن حرب ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧م ، وأخيرا حرب لبنان ، هذا بالإضافة إلى السجل الخاص الذي سطرته أمريكا بيديها ضد البلدان العربية ابتداء بإدارة المؤامرات الداخلية وتدبير الانقلابات ومرورا بالضغوط الاقتصادية والعكسرية والسياسية وانتهاء بالتدخل المباشر ، كما حدث في لبنان في ١٣٧٨ هـ الموافق ١٩٥٨م ، ويحدث الآن في سيناء ولبنان. أما ملفها على نطاق الديار الإسلامية الأخرى فهو لا يقل عن ملفها العربي ويكفي ان نذكر ما فعلته في ايران وتركيا واندونيسيا. ناهيك عن النهب الاقتصادي ، البترولي بصورة خاصة ، أو السيطرة على اجزاء ضخمة من النقد العربي واستخدام «اصدقائها» لتخريب المؤتمرات الإسلامية والعربية ، وخصوصا ، الجريمة التي اقترفت بحق «منظمة الدول المصدرة للنفط» (الأوبيك) ، حين اجهضتها اجهاضا وأفقدتها حتى قدرتها وفعاليتها ، وسرعان ما تحول الصراع إلى داخلها

بدلا من ان يوجه إلى القوى الطاغوتية الدولية الكبرى[١٢] .

كل ذلك التذكير كان يحمل في السابق نوعا من الهجوم على أمريكا وتحميلها مسؤولية ما يجري خصوصا بعد ١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٨م عندما ضعف النفوذ البريطاني عموما وبدأ الدور الأمريكي يلعب الدور الأكثر مباشرة في سياسة المنطقة. ففي ١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٨م تدخلت أمريكا مباشرة في لبنان وفي ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١م كانت وراء انفصال سورية عن مصر ، ووراء حرب اليمن. وفي ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣م ساندت تحويل مجرى نهر الأردن ، وفي ١٣٧٨ هـ ، ١٩٦٧م كانت حرب حزيران لحسابها بقدر كونها لحساب اسرائيل. المهم قوله في هذا السياق أن ردود الفعل تحركت ضدها في حينه ، ولو بأقل مما يجب فكانت هنالك الصرخات المنددة بها وبعضها دعا لمقاطعتها ، وبعضها لمحاربتها ، وبعضها لإدانتها ، وبعضها لامها ولو على استحياء... وكان من بين التعبيرات عن ذلك كله ، قرارات بعض القمم العربية التي حمّلتها المسؤلية في استمرار الاحتلال الاسرائيلي ، ومده بالمساعدة ، وتشجيع سياسة العدوان[١٣] ، ولكن بالرغم من ذلك هنالك اتجاه لدى كثير من الذين دعوا إلى المقاطعة أو المحاربة أو الادانة أو اللوم يهيب بها ان «تتوازن» في تأييدها للدولة الاسرائيلية لتبقي بعضا من ماء الوجه لمن يريد التحالف معها ونشدان صداقتها. أي أنهم متنازلون عن الكثير الكثير ويريدون ابقاء القليل القليل ، فعلى سبيل المثال لتذهب أغلبية أرض فلسطين وتهوّد و«لتؤمرك» المنطقة مقابل استعادة اجزاء مما احتل في حرب ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧م. بل لا يخفي البعض استعدادا للمساومة على القدس نفسها ، ناهيك عن الاعتراف باسرائيل وحقها في الوجود (أي حقها في اغتصاب فلسطين) ، ناهيك عن التطبيع وتقديم تنازلات كثيرة أخرى بما في ذلك جعل المنطقة مزرعة أمريكية ، وبالرغم من هذا كله ما كانت أمريكا لتستجيب لهم ، وامعنت في الاذلال حتى جاءت حرب لبنان التي هي حرب أمريكية–اسرائيلية في الحقيقة والجوهر. فبدلا من ان تقطع تلك الخيوط مع أمريكا ويشن ضدها كفاح حازم ، واذا بها تصبح الوسيط ، وصاحب مشروع الحل ، وتقدم لها كل التسهيلات ، فيعقد مؤتمر فاس الثاني فلا يرميها حتى بورقة ريحان ، كما يقول المثل ، لئلا يؤذيها ان ترمي بالريحان بسبب جريمتها في تدمير بيروت وغزو لبنان. فقرارات المؤتمر العتيد لا تدين أمريكا ودورها فيما حل في الشعبين الفلسطيني واللبناني ، بل يخرج بعض الرؤساء ليقول مشروع مؤتمر فاس للحل السلمي مكمل لمشروع ريجان ، وقيل ان البعض من المتنفذين في مؤتمر فاس ارادوا تبني مشروع ريجان مباشرة وبلا أية أصباغ..[١٤]

هذا بالضبط لم يسبق ان حدث في الماضي ، صحيح أن أمريكا لم تعاقب في الماضي كما يجب ، ولم يرد عليها كما يجب. وكان هنالك دجل كثير في ادعاء محاربتها أو استنكار مواقفها. ولكن على الأقل كانت تخرج من بعد كل جريمة وغسيلها الوسخ على الحبال ، وهناك اجماع أو شبه اجماع على ادانتها وتحميلها

مسؤولية ما حدث. أما في هذه المرة، في مؤتمر فاس، فقد خرجت بلا ادانة ولا لوم، وحتى بلا كلمة عتاب. وخرجت من بعد حرب لبنان بمظهر الوسيط والمنقذ وحلاّل المشاكل. وسلمت حل المشكلة اللبنانية ومن ثم حل المشكلة الفلسطينية. أي سلم «كرم العنب للدب» أو سلم الحمل للذئب. فكيف سيسلم الكرم ويسلم الحمل؟؟ إلى هذا الحد وصلت المهانة في الوضع الرسمي: لبنان الرسمي يذهب إلى التفاوض المباشر مع اسرائيل كما فعل السادات وبرعاية أمريكا، ودون ان تطلق حتى صرخات الاحتجاج الكاذبة كما حدث مع السادات. وهكذا عشنا لنرى الزمن العربي الرسمي يجعل من الحديث عن الاعتراف باسرائيل وإقامة العلاقات معها كما لو أنها بطولة من البطولات بدلا من ان تعامل المفاوضات بخجل وحياء شعور بالعار على الأقل، أو الاحساس بأن حقا يداس بالأقدام. أما الخيار العسكري فأصبح نسيا منسيا أو اذا ما ذكره أحد فينظر اليه كمن جاء من العصر الحجري، أو كمن يتكلم بالعيب أو بالحماقة وأصبح هذا حال من يُذكّر بالتحرير، أو بالمقاومة، أو حتى بقرارات مؤتمرات القمم السابقة لقمة فاس. ولا يُخفي البعض من ان قرارات قمة فاس الراهنة نفسها هي مجرد جسر عبور وستصبح بعد حين «متطرفة جدا» وستطوي في النسيان.

ويقول البعض ان الوضع العربي لا يحلم حتى بمشروع ريجان، فمشروع ريجان بالنسبة إلى كثير من اولي الأمر يشكل هدفا بعيد المنال لأنه في حقيقته لم يقدم من جانب أمريكا بقصد التنفيذ والتطبيق وانما لوضع الدول العربية في بداية الطريق الذي سار عليه السادات عندما توجه إلى كامب ديفيد، أي انه بداية ما هو مطلوب من تنازلات لا نهايتها. ومع ذلك ثمة نفر من أولي الأمر ومن على نهجم أو ممن هم على مثل منطقهم، يأبون بعد الذي حصل في بيروت إلا ان يفعلوا عكس ما تطالب به الأمة، فبدلا من ان تنتفض فيهم رجولتهم ووطنيتهم، ان لم ينتفض فيهم إسلامهم فيردون على الأقل، بسلبية، على ما فعلته أمريكا وربيبتها المدللة «اسرائيل» بشعبي فلسطين ولبنان في حرب ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م. الأمة تنزف من أعماقها بسبب ما أصاب المجاهدين الفلسطينيين، وما حل من دمار في لبنان، وما نزل بمسلميه وما آلت اليه السلطة فيه. الأمة كانت تشعر في الماضي بأن حقوقها مهدورة أو بأن أراضيها الفلسطينية سلبية، وبأن مقدساتها معتدىً عليها. ولكنها في هذه المرة تشعر، بالإضافة إلى ذلك، بأن كرامتها مداسة بالنعال، وتحس بالعار يلفها لفاً.

ان يقوى عليك عدوك ويرميك أرضا فهذا أمر اعتادت عليه الأمة، واعتاد عليه مجاهدوها الأبرار، واعتاده أحرار كثيرون في كل بلدان العالم طوال أجيال. فليس الانتصار هو دائما من شروط الحياة بالنسبة إلى المجاهدين أو الأحرار. ولكن ان ترتمي أرضا وتجثو على ركبتيك أمام عدوك وتقبل يديه، فهذا يعني الاهانة والخزي والعار لأنه يعني أن الأمة تطعن الآن بشرفها. وربما كان هذا هو السبب وراء الذين يُسمّون المرحلة الراهنة «بعصر الانحطاط العربي» أو «الزمن الأمريكي-الاسرائيلي».



يهود داخل احدى المخيمات الفلسطينية في بيروت.

ان احتلال الجيوش المعادية للأرض يسهل أمام احتلال النفوس والارادات، وهزيمة الجيوش تسهل أمام الهزيمة النفسية والروحية. ظاهرة التخاذل العربي الرسمي التي برزت في أثناء حصار بيروت وبعد ذلك كانت جذورها موجودة في الوضع دائما ولكنها أصبحت الآن ظاهرة بارزة. فهي لا تنحصر بمجرد سقوط شعارات هذا النظام أو ذاك، ولا بسقوط هذا الزعيم أو ذاك. وانما، أساسا، بانسداد الطريق أمام النظام العربي، وفي معيته، ما يسمى بالمعارضة الوطنية أو التقدمية. واذا كانت حرب لبنان قد وجهت ضربة إلى دول التجزئة العربية عموما إلا أنها وجهت، أيضا، ضربة لمن كانوا يعتبرون أنفسهم بديلا وطنيا وتقدميا لها. في داخل لبنان تلقت الحركة الوطنية ضربة قاسية كان من أهم علاماتها تجميد نشاطها بقرار من رئيسها. وشعار التحالف الاستراتيجي مع الاتحاد السوفياتي اهتز في أعين أهم المنادين به في داخل بيروت نفسها. وجبهة الصمود والتصدي لم تعد قادرة على لملمة أطرافها والدفاع عن شعاراتها وقراراتها وما عقد عليها من آمال. أما الثورة الفلسطينية التي سطرت أعظم مآثرها في الفداء ومقاتلة اسرائيل، وجاءت انطلاقتها خطوة جريئة في تحدي قرار الهدنة العربية، وفي رفض التقسيم ووجود الكيان الصهيوني، وقد اعتبرت في حينه خارجه على لعبة الصراع كما حددت سقفها الدول الكبرى. فقد أخذت تحت الضغوط المختلفة، وبسبب الوضع العربي، تطرح هدف السلطة الوطنية، ثم أصبحت تتعرض للضغوط للاعتراف بحق اسرائيل في الوجود. ولتنضبط ضمن حدود اللعبة الدولية والعربية الرسمية. أما طموحها أن

تكون الصاعق الذي يفجر الثورة العربية أو تكون الطريق إلى الوحدة العربية فقد حل مكانه هدف المحافظة على البندقية، وابقائها موجودة، على الأقل، في الأرض المحتلة وفي معسكراتها المنتشرة في عدد من الدول العربية. ثم راحت تمارس عليها، الآن، الضغوط من جهات كثيرة لتتخلى عن سمتها كثورة مسلحة، وتدفن منطلقاتها الأولى، وتمحي ما يميّزها عن النظام العربي الذي يلهث وراء أمريكا. أو يلهث وراء الحمايات الخارجية والاستقطاب. ولا مجال لانقاذها الا بالالتفات إلى أحداث تغيير أساسي في الوضع العربي [١٥].

أغلب الذين كانوا يطالبون بحرب شعبية طويلة المدى لم يعودوا يذكرون هذا الشعار بل أصبحوا يستهزئون بمن يذكرهم به، وأغلب الذين كانوا يحلمون بوحدة عربية لم يعودوا يذكرونها حتى بالكلام. وأغلب الذين كانوا يريدون تحرير فلسطين وازالة دولة اسرائيل صاروا يبدون استعدادا للاعتراف باسرائيل أو بحقها في الأمن شريطة أن تتراجع عن اجزاء الضفة الغربية. وأغلب الذي عارضوا التضامن العربي الذي ظهر في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣م أو قبل ذلك. وطالبوا بالفرز العربي على أساس ثوري وجذري أصبحوا يؤيدون تضامنا عربيا يطرح مشروعا للتسوية (مؤتمر فاس)[١٦] وأغلب الذين قالوا بإقامة أنظمة تقدمية وأحزاب بروليتارية أو طليعية لم يعودوا يذكرون ذلك إلا على استحياء وهمساً مع عدم القدرة على الدفاع عما هو موجود من أنظمة أعلنت أنها طليعية واشتراكية وتقدمية. وأغلب الذين رفعوا شعارات بناء الجيوش التي تتفوق على الجيش الاسرائيلي بالسلاح والتكنولوجيا ذهبت شعاراتهم ادراج الرياح فذهبت الأموال الطائلة سدى بسبب منهج واستراتيجية عسكريين خاطئين وخط سياسي أكثر خطأ ووهماً.

هذا ما يميز الأزمة العامة الراهنة على مثيلاتها في السابق، أنها أزمة الفكر العربي الذي قاد الانقلابات والثورات والاحزاب الوطنية والقومية والتقدمية والشيوعية[١٧]. ان الفكر استنفذ نفسه وأصبح الآن عاجزا أمام أزمة الوضع العام، فلا هو قادر على التراجع ولا هو قادر على التقدم، ولا هو قادر على الوقوف حيث هو. انه يواجه المرحلة كمن ينظر في الضباب وقد فقد نفسه وفقد الاتجاه. ولهذا سمّى هو نفسه زمانه بزمن الانحطاط العربي أو الاهتراء العربي أو الزمن الرديء وما شتم الزمان هنا إلا فورة أعصاب، أو بديلا عن مواجهة النفس وقد نسوا أن لكل زمان رجاله وهم رجال هذا الزمان وقادته، وأن لكل زمان أهله الصالحون ولو لم يكونوا على السطح بارزين، أو يكونوا من قادته ومسيري دفة سفينته. لعله من حسن طالع هذه الأمة أن تصل الأمور إلى انسداد الطريق أمام ايجاد تفسير وهمي يبدو مقنعا لما حدث كما كان الحال في الماضي. فلا العثور على كبش فداء تلقي على عاتقه المسؤولية أصبح مقبولاً. ولا التعلل بسراب خلّب (اكتشاف حل موهوم) أصبح جذاباً. ولربما جاء هذا الوضع متأخراً ثلاثين سنة. على الأقل، ولكن جاء على كل الأحوال، فقد كان مما ليس منه بد. فلم يكن من مفر إلا ان تجرب

مختلف الشعارات، وان ترفع البراقع الكاذبة عن الاتجاهات التي ارادتها زيتونة «شرقية أو غربية»، أو مالت «يميناً أو يساراً». لم يكن هنالك بد من ان يمر على الجسم العربي ألوان وألوان من الانقلابات والثورات والزعامات. وان تجرّب التحالفات المختلفة من الغرب إلى الشرق ويجرّب ما بين هذا وذاك. ثم لم يكن هنالك بد من ان تتوالى النكبات والهزائم والنكسات. وأخيراً كان لابد من ان تطعن الأمة حتى في كرامتها وتحس بالاهانة والمهانة. كل ذلك حتى نقف أمام الطريق المسدود وقوفاً عاجزاً في الفكر والسياسة والممارسة.

حقا ان في هذه الصورة للوضع بعض المبالغة لأنه لا يمكن ان يزول اولئك الذين لا يتعلمون من الماضي.. فهنالك كثيرون يمكن ان يلدغوا من الجحر الواحد عدة مرات. ولا يمكن ان تقدم الأمة ذلك الفكر التبريري «العلمي»[١٨] الذي يستطيع اختلاق التفسيرات التي تجعله يعيش لمرحلة قادمة على وهم امتلاكه «الحل الموضوعي الجذري الثوري»[١٩]. وحقاً ليس دقيقاً أن أصحاب ذلك الفكر على اختلاف اتجاهاته استسلموا ولم يعودوا قادرين على تكرار أنفسهم واختلاق الاعذار والتعلق بالأوهام. أو أخذنا مرة أخرى إلى سراب بقيعة نحسبه ماء.

الذي يراد قوله هنا، بدقة، انه لم يعد من السهل الآن على الذين كانوا في المراحل السابقة أول من يطالبون بالنقد الذاتي، ويعلنون عن سقوط المرحلة، وسقوط هذه الشعارات أو تلك، فيبشرون، بعين قوية واثقة ببرنامج جديد وشعارات جديدة بعد كل نكبة أو نكسة، ان يفعلوا الشيء نفسه. لأنهم في الماضي كانوا بعد خارج السلطة، وكانت تسودهم روح الطالب المتحمس الذي يريد اكتشاف الحقيقة ويسعى للتفكير. ان أغلب هؤلاء اليوم في السلطة، بما في ذلك اولئك الذين في المعارضة وتحت المطاردة من قبل أنظمتهم، لأنهم اتصلوا أو تواصلوا أو كانوا امتداداً لمن هم في السلطة في بلد عربي آخر، فكان عليهم مشاركته مصيره الحالي. ولهذا حين يقال ان المعارضة في السلطة أيضا قول صحيح، فالذي حل بالأنظمة حلّ بانصارها على اختلاف ألوانهم وانتماءاتهم، كما ان الانفكاك لم يعد سهلا، فهيهات ان يتخلى من في السلطة عن سلطته اعترافا منه بتقصير أو فشل أو سقوط، وهيهات ان يتخلى من في المعارضة واعتاد الدعم من سلطة أخرى عن ذلك الدعم. ولهذا أصبح انسداد الفكر سمة لا مفر منها بالنسبة إلى الفكر الذي التصق بالسلطة.

وهو لهذا لم يعد قادراً على تجديد نفسه كما كان يفعل في الماضي، وغير قادر إلا على الاستمرار حيث هو في وضع «تبريري»، ولكن بضعف وصوت خافت أبح. فقد أصبحت بيوت اولئك القوم كافة بيوتا من زجاج، وهذا عكس ما كان الحال عليه في تلك المراحل التي كان هنالك فيها من يستطيع ان يهاجم من بيوتهم من زجاج بينما هو بلا بيت أو لم يبن بيته الزجاجي بعد.

بكلمة أخرى، ان الأزمة العامة، خصوصا أزمة الفكر المعارض أو التغييري ليست حالة عارضة وانما يكمن في صلبه سواء أكان مقراً بها أم لم يقر. فالذين مازالوا في أحزابهم ومنظماتهم

وضمن حدود أفكارهم السابقة يستطيعون ان يظلوا حيث هم قانعين، أو مقتنعين، أو بقوة الاستمرار، ولكنهم موضوعياً وفي أعين الناس، وربما في أعينهم أنفسهم يتخبطون في أزمة حادة حتى لو لم يقروا بها علنا أو لم يدركوها بعد. والذين راحوا يبحثون عن طريق جديد ولكن ضمن المنهجية السابقة نفسها هم في أزمة موضوعية سواء أشعروا بذلك أم لم يشعروا، لأن الفكر السابق الذي يواجهونه ينتمي إلى الأرضية نفسها التي يقفون عليها ونبعت أزمته من تلك المنابع التي مازالوا منها ينهلون.

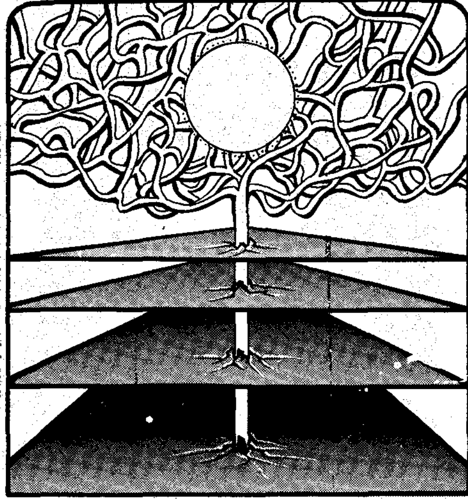
المقصود قوله هنا أنها أزمة كبرت، في هذه المرة، حتى على الأوهام والاحلام وخداع النفس، وستظل تستفحل وتكبر ما دامت تعالج بتلك الأساليب أياها، وتفهم فهما تبسيطيا سطحيا. فقد بلغت من الكبر عتياً. ولهذا فهي أكبر من أن تعالج بالمسكنات والعقاقير. فلن تعالجها حالة الديمقراطية غير الممكنة في هذه الأوضاع، ولا حالة استبدال وجوه بوجوه، ولا حالة تغييرات في البرامج والسياسات النابعة من الأرضية نفسها، ولا في طلب النصرة من السوفيات والاستقطاب. ناهيك عن ان تعالج بالتصالح مع العدو الاسرائيلي والتحالف مع أمريكا. أو لم تتقلب الأمة على هذه التجارب كافة، ولم يبق طريق من تلك الطرق إلا ولجت بابه واكتوت بناره بما كفاها؟

في الحقيقة، ان وصول الأزمة إلى النقطة التي وصلت اليها سواء أكانت الأزمة الواقعية الموضوعية أم الأزمة الفكرية – السياسية تدفع إلى طرح عدد من الاسئلة. لماذا لم يصل أي برنامج من البرامج التي اقترحت وسارت إلى نتيجة مرضية. أو على الأقل لماذا لم نجد أنفسنا بعد على الطريق الذي يوحي بأننا سنصل إلى الأهداف في النهاية؟ كيف يمكن، بعد كل هذه التجارب المريرة، ان نواجه اعداءنا ونعالج صعوباتنا ونحل مشاكلنا ونقف على أقدامنا، ونرفع رؤوسنا وننهض؟

لماذا ندور في دائرة مفرغة؟ كلما علقنا أملا على تحقيق هدف معين وبذلنا في سبيله التضحيات وقطعنا أشواطاً في الطريق اليه وطوينا سنين من العمر في سبيله وجدنا أنفسنا في النهاية إلى الخلف راجعين ورحنا نترّحم على وضع الأمة يوم بدأنا ونحن نقارنه بالوضع الذي انتهينا اليه.

والجماهير ماذا دهاها، لماذا لم تعد تملأ الشوارع بتظاهراتها؟ على القمع هو السبب؟ ولكن متى لم يكن هنالك قمع عندما كانت الجماهير تغضب وتتحدى القمع؟ أو ليس من المشروع الاستنتاج ان هذه الحالة التي وصلتها الجماهير جاءت محصلة لجهود ومواقف مجموع القوى التي نصبت نفسها قادة للجماهير من أنظمة وأحزاب قومية ووطنية وتقدمية ويسارية وشيوعية. تلك القوى التي لا تخاطب ولا تصدر بياناً إلا وفي المقدمة «ياجماهير شعبنا». وكانت النتيجة انامة «جماهير شعبنا» بعد ان تسلمتها ثائرة هادرة من المحيط إلى الخليج.

هل يمكن ان تكون العملية الجراحية المطلوبة خارجية أو سطحية، وهل تتعلق بمصران زائد، أو قرحة، أو بتراً لطرف من الأطراف؟ أم هي عميقة قد تحتاج إلى فتح الجمجمة واعادة بناء البيت من أساسه؟ ثم هذا التدهور وهذا الضياع للجهود السابقة، أو هذه الانتكاسات هل



يمكن أن ترى بالعين نفسها التي رؤيت بها طيلة عشرات السنين الماضية؟

أو لنضع الاسئلة بصيغ أخرى. هل هي أزمة جزيئة تشمل هذا الجانب أو ذاك من جوانب حياتنا أم هي شاملة لكل مناحي حياة الأمة؟ وهل هي أزمة التكوين الموضوعي القائم للوضع العربي أم هي أزمة هذا النظام أو ذاك من أنظمته؟ وهل الأزمة كامنة في جوهر الفكر السائد وأساساته أم هي كامنة في هذه المدرسة أو تلك من مدارسه؟ أما من ناحية أخرى هل هي أزمة في العالم كله بطرفيه المستكبر والمستضعف. أزمة الحضارة العالمية السائدة. أم هي أزمة تخلف وشعوب متخلفة، وما عليها إلا اللحاق بركب الحضارة الغربية.

وخلاصة، لو لم يكن الأمر بهذا العمق والشمول لنفعت مع الوضع العربي تلك الوصفات التي استخدمت خلال الثلاثين سنة الماضية. ولو لم يكن الأمر كذلك لما كانت الأزمة التي تعيشها الآن بكل هذه الحدة والشدة. ولهذا ما لم يتجه البحث إلى التنقيب في تكوين الوضع العربي القائم في أساساته فلن تكتشف أسباب الأزمة. ولن يهتدي إلى طريق الصواب. وما لم يتجه النقد إلى جوهر الفكر السائد (حاكماً أو معارضاً) لا إلى هذه المدرسة أو تلك من مدارسه فلن يكتشف حقيقة الأزمة ولن يهتدي إلى طريق النجاة. وما لم تلحظ علاقة ذلك كله بجوهر التكوين القائم للوضع ككل. ثم في هذا الوضع العالمي وما يسوده من حضارة وثقافة وقوانين فلن ندرك أبعاد الأزمة في أخطر جوانبها. ومن ثم لن يكون من الممكن تحديد طريق الخلاص.

ذلكم هو مشكل هذا الكتيب. وتلكم هي طريقه التي يسعى إلى شقها في الفصول القادمة.

منير شفيق

عن كتابه «الإسلام وتحديات الإنحطاط المعاصر» الصادر عن

Ta Ha Publishers Ltd
68a Delancey Street
London NW1 7RY

(١) أورد تقرير كاهان الصادر في ١٩٨٣/٢/٨ حقائق دامغة بالنسبة إلى مشاركة قوات من حزب الكتائب في تلك المجازر ولم يعف الجيش الاسرائيلي والسلطات العليا من مسؤولية غير مباشرة. علما أن العملية كلها تمت بالاشراف المباشر من قبل القيادة الاسرائيلية. وقد جاء تقرير النائب العام اللبناني واضحا في تحميل المسؤولية للاسرائيليين وراوغ لإعفاء أدوات التنفيذ الكتائبية المتعاونة معهم. (صدر التقرير في ١٩٨٣/٦/٢٠).

(٢) «أحاديث الغزاة» – الصادر عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين – فرع الكويت – فبراير ١٩٨٣ – الكويت – وأيضا الجنرال أبجدور بن جال قائد قوات المدرعات الاسرائيلية في حرب غزو لبنان حيث قال ان الفلسطينيين حاربوا «ببسالة نادرة» – الجيروزاليم بوست – ٦ حزيران ١٩٨٣ .

(٣) رسالة ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية «إلى الشعبين اللبناني والفلسطيني وإلى الأمة العربية» ، في أثناء حصار بيروت – نشرته منظمة التحرير الفلسطينية – مكتب الكويت .

(٤) المصدر نفسه – وراجع «وفا» ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٨٢ .

(٥) سورة البقرة – الآية ٢١٦ .

(٦) وليد جنبلاط رئيس الحركة الوطنية اللبنانية قبل تجميدها – مجلة الوطن العربي ٨–١٤/٤/١٩٨٢ .

(٧) ، (٨) تكاد لا تنجو مجلة عربية من الحديث عن «الزمن الرديء» أو «الانحطاط العربي» أو «الزمن الاسرائيلي–الأمريكي» في أثناء حرب لبنان وبعيدها . أما البيان الصادر عن ملتقى تونس عن الحريات الديمقراطية بين ١–٣ نيسان (أبريل) فقد وصف المشكلات العربية الراهنة بأنها نابعة من «حالة الانهيار والتفتت في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية» – الرأي التونسية ٨ نيسان ١٩٨٣ . أما الجريدة المركزية لحزب العمال الشيوعي الفلسطيني ، في «طريق الانتصار» –العدد ١٤٩– أواسط كانون الثاني ١٩٨٣ فتسمى حالة «الوضع العربي» – الأنظمة أساساً – بحالة «الاستسلام الشامل» ص٤ . وقس عليه اراء عشرات الأحزاب والمنظمات العربية .

(٩) من خطاب لجمال عبد الناصر بعيد انفصال سورية عن مصر .

(١٠) «الضوء الأخضر» –زئيف شيف– مجلة الفورين بولسي –العدد ٥٠ ربيع ١٩٨٣ ص ٧٣–٨٥ . وأيضا «اخطاء الولايات المتحدة الفادحة» – اسحق رابين– الجيروزالم بوست ١٩ آذار (مارس) ١٩٨٣ .

(١١) في مقابلة مع «الجيروزالم بوست» في ١٠/تموز/١٩٨٣ قال ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الأسبق ان الاقتصاد الاسرائيلي سوف ينهار في حالة توقف المساعدة الأمريكية لمدة ستة أشهر . أما المحامي الأمريكي فريدريك داتون فقد قدم دراسة إلى اعضاء الكونغرس الأمريكي (نشرت في جريدة الشرق الأوسط في ٢٤ ، ٢٥/٥/٨٣) أثبت فيها أن مجموع المساعدات الأمريكية لاسرائيل تصل عشرة آلاف مليون دولار سنويا في حالة إضافة واحتساب مختلف أنواع الدعم والمساعدة بما في ذلك الاعفاء من الفوائد وتأجيل سداد الديون ، والقروض طويلة الأمد والتسهيلات الأخرى . علما ان رقم المساعدة المباشر المعلن ٢,٥ مليار دولار أي ١/٣ المساعدة الأمريكية الأجنبية – أنظر تابوري في الجيروزالم بوست الصادر في ٧ آيار ١٩٨٣ .

(١٢) على أثر مؤتمر الأوبك في لندن أعلن في واشنطن ان تخفيض أسعار النفط من قبل الأوبك سيوفر على الولايات المتحدة مبلغ ٢٢ مليار دولار سنويا (الاذاعات في ١١/٤/١٩٨٣) .

(١٣) أنظر المقررات والبيانات الصادرة خصوصا عن مؤتمرات القمة : السادس في الجزائر نوفمبر ١٩٧٣ ، السابع في الرباط (أكتوبر) ، المؤتمر التاسع في بغداد (نوفمبر ١٩٧٨) ، العاشر في تونس (نوفمبر ١٩٧٩) ، وقمة عمان الحادي عشرة(نوفمبر ١٩٨٠) . وعلى سبيل المثال جاء في البيان الختامي لمؤتمر القمة العاشر المنعقد في تونس : «ويدين المؤتمر سياسة الولايات المتحدة في ما يتعلق بدورها في توقيع اتفاقية كامب ديفيد والمعاهدة المصرية–الاسرائيلية ان استمرار هذه السياسة سوف ينعكس سلبا على العلاقات والمصالح بين الدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية» – طبعا استمرت تلك السياسة وفرضت مشروع ريغان وحرب الغزو الاسرائيلي للبنان واحتلال اجزاء كبيرة منه ، ولم تنعكس سلبا على العلاقات والمصالح الأمريكية ولا حتى على مؤتمر فاس ! !

(١٤) أوردت مجلة جون افريك في عددها ١١٣٢ بتاريخ ١٥/٩/١٩٨٢ اشارة إلى رأي داخل المؤتمر بقول «أن العرب لا يخسرون شيئا اذا قبلوا في مشروع ريغان تلك الجوانب التي تناسب استراتيجيتهم الجديدة» ص ٣٨ . وبالمناسبة لا

حاجة إلى ذكر المهانة التي قبل بها الموقف العربي حين وضح رفض ريغان مقابلة اللجنة العربية المنبثقة عن قمة فاس اذا ضمت عضوا من م . ت . ف .

(١٥) في مقابلة مع السياسة الكويتية أجاب الدكتور سمير غوشه أمين عام «جبهة نضال الشعب» الفلسطينية على سؤال حول جبهة الصمود والتصدي وموقفها في أثناء حرب لبنان باعتباره من أشد المتحمسين لها والمدافعين عنها قال : «ان جبهة الصمود والتصدي لم تقم بدورها كاملا ، وكانت مواقفها دون الحد الأدنى المطلوب ، وأنها لم تتصرف وفق الأهداف التي انشئت من أجلها حيث اننا جزء من الجبهة كمنظمة تحرير فلسطينية ...» ومع ذلك يستدرك قائلا : «... لكن في نفس الوقت فندنا المواقف والشعارات المطروحة والتي أراد البعض ان يضع الجميع في سلة واحدة عندما وصف الوضع العربية بحالة واحدة» –ص٥– «نضال الشعب» في ١٣/٧/١٩٨٣ .

(١٦) من أمثلة ذلك المنظمات والاتجاهات اليسارية التي وافقت على قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الأخير المنعقد في الجزائر ٢ (شباط) ١٩٨٣ ، والمتضمن تأييد قرارات مؤتمر قمة فاس .

(١٧) في مقابلة مع حسنين هيكل في «المستقبل العربي» في ٢٩ تموز ١٩٨١ قال فيها : «ان طلائع الشعب العربية المطالبة بالوحدة كلها أصبحت معطلة المفعول وبعيدة عن ميدان تأثيرها» . أما مجلة «الغد» الشيوعية الصادرة في لندن في عددها ١٤ ، كانون الثاني–آذار ١٩٨٣ فقد جاء فيها «ان الأوضاع الراهنة المتميزة بالشلل الجماهيري العام الذي حول الناس إلى متفرجين على الأحداث لا صانعين للتاريخ ....» ص١٣ . وتتابع قائلة «وقد اقترن بهذه الردة الحكومية فساد عام للحركات «اليسارية» التي انحاز ممثلوها الرسميون إلى الطغاة الحاكمين . وتناول ناجي علوش الموضوع نفسه من زاوية أخرى في مقالته «المقاومة وحديث الأزمة» المنشور في مجلة الهدف–العدد ٦٨٨ ، في ٥ أيلول ١٩٨٣ حيث يقول : «... ومن جهة أخرى ، فإن تراجع الحركة الوطنية العربية ، وسيطرة أكثر قواها تسلطا ، مد ظله على كل الساحة العربية ، وفرض استسلام سياسي على القوى الوطنية العربية» .

(١٨) ، (١٩) «العلمي» ، و«الموضوعي» و«الجذري والثوري» من الأوصاف التي يصر البعض على الصاقها بنفسه بالرغم من تكرار تخبط فكره وبرامجه وسياساته بالاخطاء تلو الاخطاء ، وبالرغم من فشله المتواصل حتى بمقاييس ما يعلن من أهداف ومطامح .

الحضارة الإسلامية

الشيخ المرحوم تقي الدين النبهاني

هنالك فرق بين الحضارة والمدنية، فالحضارة هي مجموع المفاهيم عن الحياة، والمدنيـة هي الأشكال المادية للأشياء المحسوسة التي تستعمل في شؤون الحياة. وتكون الحضارة خاصة حسب وجهة النظر في الحياة، في حين تكون المدنية خاصة وعامة. فالأشكال المدنية التي تنتج عن الحضارة كالتماثيل تكون خاصة، والأشكال المدنية التي تنتج عن العلم وتقدمه، والصناعة ورقيها. تكون عامة، ولا تختص بها أمة من الأمم، بل تكون عالمية كالصناعة والعلم.

وهذا التفريق بين الحضارة والمدنية يلزم أن يلاحظ دائماً، كما يلزم أن يلاحظ التفريق بين الأشكال المدنية الناجمة عن الحضارة، وبين الأشكال المدنيـة الناجمة عن العلم والصناعة. وذلك ليلاحظ عند أخذ المدنية التفريق بين أشكالها، والتفريق بينها وبين الحضارة. فالمدنية الغربية الناجمة عن العلم والصناعة لا يوجد ما يمنع من أخذها، وأما المدنية الغربية الناجمة عن الحضارة الغربية فلا يجوز أخذها بحال، لأنه لا يجوز أخذ الحضارة الغربية، لتناقضها مع الحضارة الإسلامية، في الاساس الذي تقوم عليه، وفي تصوير الحياة الدنيا، وفي معنى السعادة للإنسان.

أما الحضارة الغربية فانها تقوم على أساس فصل الدين عن الحياة، وإنكار ان للدين أثراً في الحياة، فنتج عن ذلك فكرة فصل الدين عن الدولة. لأنها طبيعية عند من يفصل الدين عن الحياة، وينكر وجود الدين في الحياة. وعلى هذا الاساس قامت الحياة، وقام نظام الحياة. أما تصوير الحياة فإنه المنفعة، لأنها هي مقياس الأعمال، ولذلك كانت النفعية هي التي يقوم عليها النظام، وتقوم عليها الحضارة، ومن هنا كانت النفعية هي المفهوم البارز في النظام، وفي الحضارة، لأنها تصور الحياة بأنها المنفعة. ولذلك كانت السعادة عندهم إعطاء الانسان أكبر قسط من المتعة الجسدية وتوفير أسبابها له. ولهذا كانت الحضارة الغربية حضارة نفعية بحتة، لا



تقيم لغير المنفعة أي وزن، ولا تعترف الا بالنفعية، وتجعلها هي المقياس للأعمال. وأما الناحية الروحية فهي فردية لا شأن للجماعة بها، وهي محصورة في الكنيسة ورجال الكنيسة. ولذلك لا توجد في الحضارة الغربية قيم أخلاقية، أو روحية، أو انسانية، وانما توجد قيم مادية ونفعية فقط. وعلى هذا الأساس جعلت الأعمال الانسانية تابعة لمنظمات منفصلة عن الدولة، كمؤسسة الصليب الأحمر، والأرساليات التبشيرية، وعزلت عن الحياة كل قيمة إلا القيمة المادية وهي الربح. فكانت الحضارة الغربية هي هذه المجموعة من المفاهيم عن الحياة.

أما الحضارة الإسلامية فانها تقوم على أساس هو النقيض من أساس الحضارة الغربية، وتصويرها للحياة غير تصوير الحضارة الغربية لها، ومفهوم السعادة فيها يختلف عن مفهومها في الحضارة الغربية كل الاختلاف. فالحضارة الإسلامية تقوم على أساس الإيمان بالله، وأنه جعل للكون والانسان والحياة نظاماً يسير بموجبه، وانه أرسل سيدنا محمداً ﷺ بالإسلام ديناً، أي ان الحضارة الإسلامية تقوم على أساس العقيدة الإسلامية، وهي الأيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خير هما وشرهما من الله تعالى. فكانت العقيدة هي الأساس للحضارة، فهي قائمة على أساس روحي.

أما تصوير الحياة في الحضارة الإسلامية فانه يتمثل في فلسفة الإسلام التي انبثقت عن العقيدة الإسلامية، والتي تقوم عليها الحياة، وأعمال الأنسان في الحياة، هذه الفلسفة التي هي مزج المادة بالروح، أي جعل الأعمال مسيرة بأوامر الله ونواهيه، هي الأساس لتصوير الحياة. فالعمل الإنساني مادة، وإدراك الإنسان صلته بالله حين القيام بالعمل من كون هذا العمل حلالاً أو حراماً هو الروح. فحصل بذلك مزج المادة بالروح. وبناء على ذلك كان المسير لأعمال المسلم هو أوامر الله ونواهيه. والغاية من تسيير أعماله بأوامر الله ونواهيه، هي رضوان الله تعالى، وليس النفعية مطلقاً. أما القصد من القيام بنفس العمل فهو القيمة التي يراعى تحقيقها

حين القيام بالعمل. وهذه القيمة تختلف باختلاف الأعمال. فقد تكون قيمة مادية كمن يتاجر بقصد الربح، فان تجاربه عمل مادي، ويسيره فيها إدراكه لصلته بالله حسب أوامره ونواهيه ابتغاء رضوان الله. والقيمة التي يراعى تحقيقها من القيام بالعمل هي الربح، وهو قيمة مادية.

وقد تكون القيمة روحية، كالصلاة والزكاة والصوم والحج. وقد تكون القيمة أخلاقية، كالصدق والأمانة والوفاء. وقد تكون القيمة إنسانية، كانقاذ الغريق وإغاثة الملهوف. وهذه القيم يراعيها الانسان حين القيام بالعمل حتى يحققها، إلا أنها ليست المسيرة للأعمال، وليست المثل الأعلى الذي يهدف اليه، بل هي القيمة من العمل وتختلف باختلاف نوعه.

وأما السعادة فهي نيل رضوان الله، وليست إشباع جوعات الانسان، لأن إشباع جوعات الإنسان جميعها، من جوعات الحاجات العضوية، وجوعات الغرائز، هو وسيلة لازمة للمحافظة على ذات الإنسان، ولا يلزم من وجودها السعادة. هذا هو تصوير الحياة. وهذا هو الاساس الذي يقوم عليه هذا التصوير. وهو الأساس للحضارة الإسلامية. وإنها لتناقض الحضارة الغربية كل المناقضة، كما أن الأشكال المدنية الناجمة عنها تناقض الأشكال المدنية الناجمة عن الحضارة الغربية. فمثلاً: الصورة شكل مدني، والحضارة الغربية تعتبر صورة امرأة عارية تبرز فيها جميع مفاتنها شكلاً مدنياً، يتفق مع مفاهيمها في الحياة عن المرأة. ولذلك يعتبرها الغربي قطعة فنية يعتز بها كشكل مدني، وقطعة فنية اذا استكملت شروط الفن، ولكن هذا الشكل يتناقض مع حضارة الإسلام، ويخالف مفاهيمه عن المرأة التي هي عرض يجب أن يصان، ولذلك يمنع هذا التصوير لأنه يسبب إثارة غريزة النوع ويؤدي إلى فوضوية الأخلاق. ومثل ذلك أيضا ما إذا اراد المسلم أن يقيم بيتا وهو شكل مدني، فانه يراعي فيه عدم انكشاف المرأة في حال تبذلها لمن هو خارج البيت، فيقيم حوله سوراً، بخلاف الغربي فإنه لا يراعي ذلك حسب حضارته. وهكذا كافة ما ينتج من الأشكال المدنية عن الحضارة الغربية كالتماثيل ونحوها. وكذلك الملابس، فانها إن كانت خاصة بالكفار باعتبارهم كفاراً لم يجز للمسلم أن يلبسها، لأنها تحمل وجهة نظر معينة، وان لم تكن كذلك بأن تعارفوا على ملابس معينة لا باعتبار كفرهم، بل أخذوها لحاجة أو زينة فانها تعد حينئذ من الأشكال المدنية العامة ويجوز استعمالها.

أما الأشكال المدنية الناتجة عن العلم والصناعة كأدوات المختبرات والآلات الطبية والصناعية، والأثاث والطنافس وما شاكلها، فأنها أشكال مدنية عالمية لا يراعى في أخذها أي شيء، لأنها ليست ناجمة عن الحضارة، ولا تتعلق بها.

ونظرة خاطفة للحضارة الغربية التي تتحكم في العالم اليوم، ترينا أن الحضارة الغربية لا تستطيع أن تضمن للانسانية طمأنينتها، بل إنها على العكس من ذلك سببت هذا الشقاء الذي يتقلب العالم على

أشواكه، ويصطلي بناره. والحضارة التي تجعل أساسها فصل الدين عن الحياة خلافا لفطرة الانسان، ولا تقيم للناحية الروحية وزنا في الحياة العامة، وتصور الحياة بأنها المنفعة فقط، وتجعل الصلة بين الانسان والانسان في الحياة هي المنفعة، هذه الحضارة لا تنتج إلا شقاء وقلقا دائمين، فما دامت هذه المنفعة هي الأساس، فالتنازع عليها طبيعي، والنضال في سبيلها طبيعي، والاعتماد على القوة في إقامة الصلات بين البشر طبيعي. ولذلك يكون الاستعمار طبيعيا عند أهل هذه الحضارة، وتكون الأخلاق مزعزعة، لأن المنفعة وحدها ستظل هي أساس الحياة. ولهذا فمن الطبيعي أن تنفى من الحياة الأخلاق الكريمة كما نفيت منها القيم الروحية، وأن تقوم الحياة على أساس التنافس والنضال والاعتداء والاستعمار. وما هو واقع في العالم اليوم من وجود أزمات روحية في نفوس البشر، ومن قلق دائم وشر مستطير، خير دليل على نتائج هذه الحضارة الغربية، لأنها هي التي تتحكم في العالم وهي التي أدت إلى هذه النتائج الخطيرة والخطرة على الانسانية.

ونظرة إلى الحضارة الإسلامية التي تحكمت في العالم منذ القرن السادس الميلادي حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ترينا أنها لم تكن مستعمرة، وليس من طبعها الأستعمار، لأنها لم تفرق بين المسلمين وغيرهم، فضمت العدالة لجميع الشعوب التي دانت لها طوال مدة حكمها، لأنها حضارة تقوم على الأساس الروحي الذي يحقق القيم جميعها: من مادية، وروحية، وأخلاقية، وإنسانية، وتجعل الوزن كله في الحياة للعقيدة. وتصور الحياة بأنها مسيرة بأوامر الله ونواهيه، وتجعل معنى السعادة بأنها رضوان الله، وحين تسود هذه الحضارة الإسلامية كما سادت من قبل، فإنها ستكفل معالجة أزمات العالم، وتضمن الرفاهية للانسانية جمعاء.

القاديانية في باكستان
تحت عين النظام وسمعه

فتنة القاديانية قديمة في باكستان. وهي ترفع رأسها من حين لآخر حسب الأحوال السياسية. في أوائل الخمسينات، إزداد نفوذ القاديانية حتى وصلوا إلى سدة الحكم وكان منهم ظفر الله خان وزير خارجية جمهورية باكستان الإسلامية، الأمر الذي دفع الجماعات الإسلامية إلى شن ما عرف في ذلك الوقت بحركة «ختم النبوة» التي اجتاحت باكستان كلها وانتهت بتقليص نفوذ القاديانية وأحداث تغيير سياسي في البلاد.

وفي عام ١٩٧٤ في عهد ذو الفقار علي بوتو – اليساري ؟ – اعتبرت القاديانية أقلية غير إسلامية في باكستان، وكان من المقرر تعديل الدستور على نحو يتضمن هذا، لكن ذلك لم يحدث أبدا وحتى اليوم.

أما في زمن ضياء الحق – المسلم ! – فقد عادت القاديانية ترفع رأسها من جديد إلى حد تبدو معه أنها المحرك لسياسة باكستان. فلماذا حدث ذلك؟ وما هي أداته؟

تقول قوانين الاجتماع والسياسة والعمران البشري قديما وحديثا أن أية قوة اقتصادية في المجتمع تساهم بشكل أو آخر في صنع نظام الحياة به وفي صياغة قراراته السياسية. وأي أقلية في مجتمع ما يستحيل عليها ان تلعب دورا مؤثراً الا اذا كانت تشكل ثقلاً اقتصاديا. فالنصارى في مصر أقلية لكنهم لما كانوا يتحكمون في الاقتصاد المصري تراهم ينالون من الحقوق والحريات ما لا تناله الأغلبية المسلمة. والأقلية المسلمة في الفلبين أو الهند مثلا تذبح لأنها لا تزن ريشة في ميزان الاقتصاد هناك. يضاف إلى ذلك القوى الدولية التي تحمي هذه الأقلية وصلة هذه القوة بالحكومة التي تعيش في ظلها هذه الأقلية. ولا نظن أن علاقة أمريكا والغرب بالقاديانية أو بحكومة ضياء الحق خافية على أحد.

سياسة ضياء الحق الاقتصادية :

ما من شك في ازدهار الاقليات التي تشكل كتلة اقتصادية فعالة في مجتمع ما أو أفول نجمها يعتمد أصلا على السياسة الاقتصادية في هذا المجتمع.

واقتصاد باكستان تتحكم فيه ثلاث طوائف هي : القاديانية والاسماعيلية والبهرة.



الجنرال والقاديانية : لا غرابة

وسياسة ضياء الحق الاقتصادية تقوم على الانفتاح وترك الحرية الكاملة للقطاع الخاص ليلعب دوره في تنمية المجتمع حسب ما يزعم مخططو السياسة الاقتصادية. ويمكن باختصار ان نقول ان نظامه نظام رأسمالي بحت يقوم على الاستثمارات بجميع أنواعها.

لأجل ذلك كان لابد من خضوع ضياء الحق ونظامه للقوى الاقتصادية الخاصة الموجودة في باكستان وهي الطوائف التي ذكرناها آنفا. هذه السيطرة من جانب الطوائف المطورة أو بالأحرى هذا الخضوع من جانب ضياء الحق لها، بدأ يظهر بشكل واضح خلال سنوات حكمه الأخيرة.

فحين يأتي البرنس كريم اغا خان زعيم الاسماعيلية الروحي، وواحد من أكابر البليونيرات وأصحاب بيوت القمار والفحش بأنواعه في العالم، يذهب الرئيس المؤمن وكبار رجال دولته لاستقباله في المطار وكأنه يستقبل رئيس دولة أخرى. وآخر الأنباء أن ضياء الحق رد جميع المدارس التي كانت مملوكة لأعضاء الطائفة الاسماعيلية وأُممت في عهد بوتو إلى أصحابها ليديروها باعتبارهم قطاعاً خاصاً استثمارياً. ناهيك بالخطب التي يلقيها الرئيس المسلم في الثناء على المقامر الدولي وتمجيد أعماله.

وأياً كان الأمر فشأن الاسماعيلية أو البهرة ليس خطيراً على الدين. أما القاديانية – ذلك الوباء المنتشر في باكستان وبلدان أفريقيا – فخطرهم على العقيدة أكثر من أي شئ آخر، ورغم خطورتهم على الإسلام والمسلمين لم يتخذ الرئيس المسلم ضياء الحق ضدهم أي اجراء بل زاد في تشجيعهم ورعايتهم على النحو الذي ظهر من عدة وقائع نجملها فيما يلي :

١ – قامت الحكومة الباكستانية باستدعاء الدكتور عبد السلام – عالم الطبيعة القادياني – من الخارج ومنحته الدكتوراه الفخرية من جامعة القائد محمد عليّ جناح باسلام اباد. ليس هذا فحسب بل طاف المسئولون معه أقاليم باكستان وأوعزوا إلى إدارات جامعاتها بمنحه دكتوراهات فخرية فحصل الدكتور القادياني على «حفنة» دكتوراهات. ثم أكثر من هذا أقامت الحكومة حفل تكريم له في مبنى البرلمان الذي اتخذ فيه القرار التاريخي عام ١٩٧٤م باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة، وهذا له معناه ومغزاه الذي لا يخفي على أحد.

وفي هذا الحفل قدم المسئولون للدكتور عبد السلام مصحفاً كهدية وهذا يعني أن القاديانية مسلمون لأن المصحف لا يهدى لكافر. والعجيب ان ضياء الحق وضع قانوناً ضد «حزب الشعب» يعاقب من ينتهك حرمة القرآن بالاعدام فهل تقديم المصحف الشريف لكافر من الكفرة على اختلاف أنواعهم لا يعتبر انتهاكا لحرمته وقداسته؟

٢- تعيين ضياء الحق السيد راجه منور أحمد مستشاراً سياسياً له وهو من أخبث وعماء القاديانية، واعزازه له وتكريمه إياه إلى حد ان الرئيس اذا كان مشغولاً في جلسة لمجلس الشورى مثلا بقي السيد منور مع أولاد الرئيس يرعاهم ويلاطفهم في حرية تامة!!

٣- ان وزارة الخزانة في حكومة ضياء حين طبعت استمارات تحصيل الزكاة (!) كتبت في خانات تحديد الانتماء الطائفي عبارات «مسلم أحمدي» أو «مسلم قادياني»، وهذا إقرار رسمي بأن القاديانية مسلمون في نظر الحكومة.

٤- في ١٧ من فبراير عام ١٩٨٣ اختطف القاديانية أحد كبار ائمة المساجد هو مولانا أسلم قريشي. فما قصة هذا الشيخ؟

أسلم قريشي مواطن بسيط متوسط التعليم. كان يعمل كهربائيا في بلدية اسلام أباد، وفي عام ١٩٧٠ أيام حكومة يحيى خان كان السيد م.م. أحمد يشغل منصب وزير التخطيط وهو من كبار زعماء القاديانية وكان يحيى خان يريد أن يجعله نائبه، فاغتاظ اسلم قريشي وهجم عليه في مكتبة هجمة قاتلة. وحوكم اسلم. وصدر الحكم عليه بالسجن المؤيد، ثم خفف إلى قرابة ثلاثة أعوام. وخلال السجن تخصص أسلم قريشي في دراسة أفكار القاديانية والرد عليها، ولما خرج اتخذ من أحد المساجد بمدينة سيالكوت مركزا لمكافحة فكر القاديانية. وفي ١١ فبراير ١٩٨٣ ألقى أسلم قريشي خطبة في تفنيد عقائدهم لم يحتملها زعماء القاديانية فقاموا بخطفه من الشارع بعد تدبير حيلة له.

رفضت سلطات الشرطة في المدينة متابعة القضية. وثار العلماء الذين أسسوا من قبل «مجلس الحفاظ على ختم النبوة» وعقدوا جلسة طالبوا الحكومة فيها بعدة مطالب منها:

١- تغيير سلطات الشرطة المنحازة إلى القاديانية.

٢- اذا لم يعرف مكان أسلم قريشي حتى رمضان فسوف تخرج الأمور من حيز المجلس إلى حركة شعبية شاملة. (ومضى رمضان ولم تتحرك الحكومة).

٣- التحقيق مع زعيم القاديانية ميرزا طاهر أحمد.

٤- اعتبار القاديانية فرقة محظورة وتجميد أموالها وعزل اعضائها من المناصب الكبرى بالدولة.

موقف الحكومة من قضية أسلم قريشي:

تضع الحكومة يديها في الماء البارد من هذه القضية. فهي لم تتحرك خطوة واحدة للبحث عنه أو حتى لمساعدة أفراد أسرته وهم أربع بنات وولد وأم عجوز. بل الأغرب من هذا أنها قامت بحظر دخول مولانا زاهد



الشارع الباكستاني

الراشدي إلى مدينة سيالكوت، وجاء في حيثيات حكم الحظر «أن أنشطة الراشدي تضايق إحدى الأقليات». الى هذا الحد وصل نفوذ القاديانية في زمن ضياء الحق، والأدهى من ذلك ان زعيم القاديانية مرزا طاهر أحمد خليفة المسيح الموعود كما يسميه اتباعه اذا خرج من منزله أغلقت الحكومة له الطرق التي تزاحم طريقه، وعطلت له المرور، وفتحت له الاشارات ليسير بسيارته، مع انه من المفروض ان يكون مواطنا عاديا يجري عليه ما يجري على غيره، هذا ان لم نقل بوجوب اعدامه من الحكومة [التي تزعم تطبيق الحدود الإسلامية] واعدام اتباعه لارتدادهم عن الإسلام.

وقد وصلنا الآن -ونحن نكتب هذه السطور- من مجلس ختم النبوة ما يفيد أن القاديانية قتلوا مولانا اسلم قريشي فعلاً. ورغم هذا لم تتحرك الحكومة، بل لم تصدر بياناً -وما أكثر بياناتها في غير ذلك- تنفي أو توضح أو تكذب ما يدعيه مجلس ختم النبوة إن كان في الأمر مبالغة أو دعايات مغرضة.

موقف الأحزاب الإسلامية من القضية

الاحزاب المساة بالإسلامية هنا ونخص بالذكر المتشدقين بالدفاع عن الإسلام تتغافل هذه القضية من أجل مصالحها اللاإسلامية. بل رفض الشيخ شاه أحمد نوراني رئيس جمعية علماء باكستان القيام بحركة ضد نفوذ القاديانية أصلا.

٥- في ٦ سبتمبر ١٩٨٣ دخل اثنان يقال انهما من القاديانية مسجد أهل الحديث في مدينة جهلم وطلبوا من امامه الشيخ حكيم

فيض عالم صديقي نسخاً من مؤلفاته التي بلغت عشرين كتاباً فأعطاهم. وفي اليوم الثاني دخل عليه شخصان مسلحان وأمطراه بوابل من الرصاص فمات في داخل المسجد تاركاً وراءه ثمانية أولاد وزوجة. ولم تتابع الحكومة القتلة الذين تمكنوا من الفرار بل فرضت على الصحف أوامرها بعدم نشر شيئ عن الحادث.

هل ضياء الحق قادياني؟

الحقيقة أن هناك اشاعات قوية تتهمه بذلك ربما كان مصدرها رؤية الناس تأييده للقاديانية وأطرف ما وقع لضياء الحق خلال زيارته الأخيرة للسند –والتي قام بها لاجتذاب بسطاء المسلمين ضد حركة استعادة الديمقراطية التي تستخدم العنف ضد حكومته– انه كان اذا ذهب إلى مسجد من المساجد ليخطب فيه ضد المخربين والشيوعيين قام خطباء المساجد بالاستفسار منه عن عقيدته لأنه متهم بالانتماء إلى القاديانية، وكان الرئيس ضياء الحق يعلن لهم انه مسلم راسخ الإسلام والعقيدة ويؤمن بأن محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين. أما السلطات الرسمية فقد ردت ذلك إلى اشاعات المزايدين والمغرضين وغيرهم.

ومهما يكن الأمر فإن الحقيقة التي لا شك فيها أن ضياء الحق يحمي القاديانية وأنهم يستمتعون بكل حرية في عهده الذي يكثر فيه الكلام عن تنفيذ الإسلام ويكفي أن مجلاتهم مستثناة من الرقابة وتوزع مجاناً وتواصل مهمتها في إفساد العقيدة. كما أن أية فرقة لا تجرؤ على ارتكاب القتل في المساجد الا اذا كانت تتمتع بحماية الحاكم.

والذي لا شك فيه أيضا أن القاديانية –ومنهم مستشار الرئيس السياسي– يؤثرون في صنع القرارات السياسية في باكستان. يؤيد ذلك آخر نبوءات دجالهم ميزرا طاهر أحمد التي قال فيها انه يتنبأ «بالغاء المادة ١٠٦ من دستور ١٩٧٣» وهذه المادة ذكرت فيها الاقليات ويطالب الناس تعديلها واضافة اسم القاديانية إلى جانب السيخ والهندوس والزردشت والنصارى وغيرهم من الأقليات. فهل هذه النبوية السياسية تحمل في داخلها وعداً من ضياء الحق الذي عطل هذا الدستور أم أنها من صنع رجال الحكم القاديانيين؟

ويؤيد احتمال قاديانية ضياء الحق انه صرخ بأعلى صوته في خطابه الذي أعلن فيه الهيكل السياسي الجديد لباكستان الإسلامية وقال «حماية الأقليات تماما في باكستان وحماية حقوقهم».

وأخير فإن حركة ختم النبوة اذا خرجت إلى الشارع الباكستاني فلابد وأنها ستغير نظام ضياء الحق خصوصا وانه يواجه معارضة عنيفة هذه الأيام من قبل الاحزاب السياسية. لكن حرية ختم النبوة تختلف عن حركة الأحزاب السياسية لأنها تلتصق بعقائد الشعب ومن ثم سيكون لها أكبر الأثر نظرا لأن سياسه ضياء وحكومته تؤكد ما يشاع عنه.

باكستان– عز الدين الامام

الفكر السياسي في القرآن

من المقرر أن القرآن هو الجامع للاصول العامة والقواعد الكلية والخطوط الأساسية والتوجيهات التشريعية التي تبنى عليها الحياة الفردية والاجتماعية والتي تضع تصميما للدولة وترسمها وتقوم عليها ادارتها وترتب حقوق الجمهور وواجباتها بين الفطرة المضمرة والشخصية المتموجة وبين الأسس الثابتة والفروع الخارجة.

والأحكام الجزئية وان كانت قليلة في القرآن ولكنها ممتزجة بالحكمة التي ترشد إلى حقائق الأحكام وطرقها العالية وتفتح باب الاجتهاد والاستخراج والاستنباط فيصير حافلا لما يتفرع ويتنوع من صور الأحكام الجزئية والفروع المواجهة يوما فيوما حسب ظروف الناس وأحوالهم وبيئاتهم والحق أن القرآن هو كتاب حكم لا كتاب أحكام.

ومنهج القرآن ليس على الطراز الكتابي مبوبا ذا فصول وتفصيلات بل هو مملوء باللطائف النفسية والحقائق الأخلاقية والأمجاد التاريخية والحوائج الجذرية في الحياة الانسانية ومرتبطة بالرابطة الحيوية الروحية التي تربط بين كل ألوان النشاط البشري والتطور الثقافي والتغيير الاجتماعي والسياسي.

ذلك الطراز الخاص منح الفكر السياسي تصورا جديدا ووجه له وجها سليما وهو أنه ليس منفردا منطبقا على الحياة الخارجية فقط بل انه جزء من النظم الفكري والخلقي والتشريعي. ونجاحه وتأمين المصالح به موقوف على الرابطة بين جميع أجزائها وبالأخص على الصلة الوثيقة بينه وبين الضمير الأخلاقي الذي يضرب على الوتر الحسّاس ويراقب كلا من جميع أعمال الانسان.

ها نحن نذكر فيما يلي ينابيع الفكر السياسي في القرآن وهي (١) السلطة (٢) الغاية الأسمى (٣) الأهداف السامية. أما السلطة العليا والسيادة الكاملة والحاكمية المطلقة فكل هذه لله تعالى لا للشعب والجمهور الذين هم قليلو البضاعة في الأصل وهم مشبعون بالرغبات والعواطف الرديئة ولا يمكن لهم أن يكونوا منزّهين عن الخطأ والضلال والسهو والنسيان التي هي من لوازم البشرية. والله هو المهيمن المحيط القادر على منع الانسان من كل ظلم وانحراف ولو في الخلوة وهو الموصوف بجميع صفات الكمال والمنزه عن السهو والنسيان والخطأ والضلال كما في القرآن الحكيم «وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله وهو



الحكيم العليم (١) الا له الخلق والأمر (٢) وقد نفى النبي يوسف عليه السلام كل أنواع السلطة وهو في السجن ودعا السجناء للخضوع بسلطة الله الواحد القهّار(٣). هذا ويجب أن نلاحظ النتائج التالية في جميع نواحي الحياة على مستوى الحكومة وغيرها مثلا: أ) ان الانسان يملك الحكم كنائب وأمين والحكم الحقيقي لله تعالى كما في القرآن الحكيم: «ان الحكم الا لله(٤) ياداؤد انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس ولا تتّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله(٥) وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه(٦) ان الله يأمركم أن تؤدو الأمانات إلى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل(٧) وقال زيد بن أسلم في هذه الآية «ان هذا الخطاب لولاة الأمر أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة وعدوا من ذلك تولية المناصب مستحقيها(٨).

ب) ان الحكمة الالهية تتجلى في كل قانون وتخطيط للحكومة حيث أنها تحتوي على قوانين التوزيع العادلة وأساليب التنظيم ووسائلها عامة شاملة مثل غيث الرحمة بلا تخصيص ولا ترجيح وفي القرآن ان الله يأمركم بالعدل والاحسان(٩) ان هذه الآية أجمع آية للحث على المصالح كلها والزجر عن المفاسد بأسرها «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين(١٠) ويدخل في الرحمة العامة التنظيم الأنفع حسب مراعاة الأحوال والأزمنة فانه لو اكتفى بطريقة واحدة لوقع الناس في العسر وهذا ينافي الرحمة المذكورة في الآية. ج) ان الحكومة يجب أن تخرج من النطاق الضيق للقومية والوطنية وأن تدخل في النطاق الأوسع للانسانية والعالمية فيظهر أثر العالمية في كل شئ كما نرى في صفات الله تعالى. د) ان الاحساس بالمسئولية ومراقبة الله سوف تبرزان في كل عمل من أعمال الحكومة ويمكن بهذه الرقابة الذاتية اجتناب كثير من السيئات، فقد جاء في القرآن الحكيم «ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا(١١).

أما الغاية الاسمى فهي العبودة لله تعالى ونشر الفضائل والقضاء على السيئات وليست هي النفعية والانتهازية والانانية البغيضة، قال الله تعالى «وما خلقت الجن والانس الا

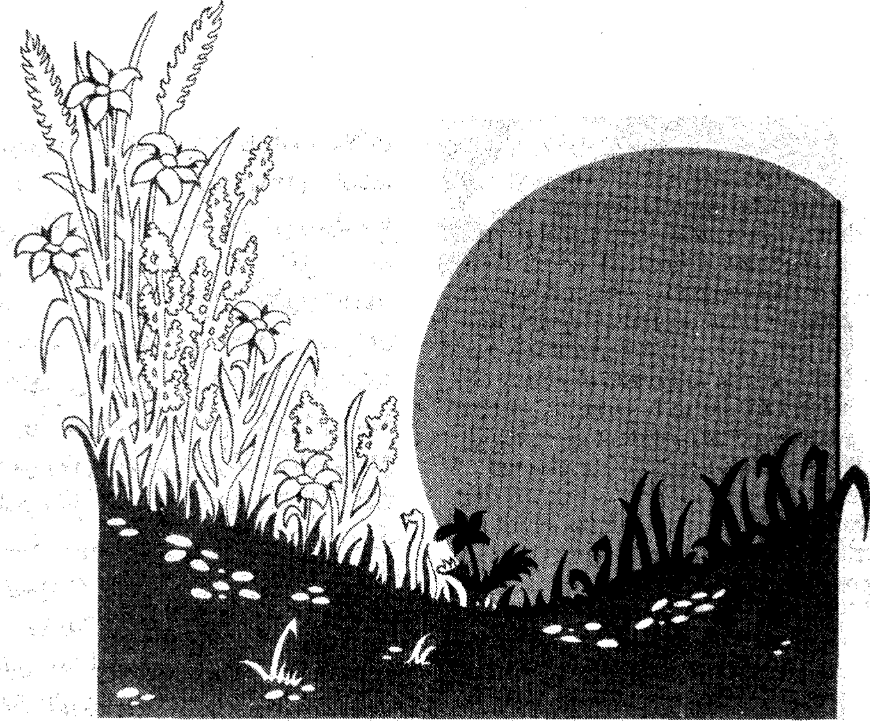
ليعبدون(١٢) ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت(١٣). العبادة هي غاية خلق الانسان ولذلك كل رسول دعا قومه إلى هذه وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة(١٤) وقال الله تعالى «الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلوة وآتو الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور(١٥) يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم(١٦).

وبدون شك أن أمر الفضائل والرذائل دقيق جدا ولو ترك مقياسها للانسان لا تسع المجال للهوى وانقلب الخير شرا والشر خيرا كما في الحضارة الغربية فأنها جعلت مناط الخير والشر مبنيا على الاختيار الفردي أو الاجتماعي وهو مقياس يتغير دائما ولذلك الخير في الصبح يتحول إلى الشر مساءا ويتحول الشر في المساء إلى الخير صباحا وفي الفكر السياسي مقياسها أمر الله تعالى وأمره نهائي لا مجال فيه للتغيير في أي حضارة، قال الله تعالى «وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلمته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وأن هم الا يخرصون(١٧) وقال رسول الله ﷺ (هو أفضل انسان وأعلى رجل في التاريخ البشري كله وأعظم مؤثر على الاطلاق في المستوى الديني والدنيوي وفي السياسة الناجحة كما قال مائكل هارث في كتابه «المائة») «وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذي لا تزيغ به الاهواء(١٨).

أما الأهداف السامية فهي المحافظة على قيم الحياة وحقوقها. ان المحافظة على قيم الحياة لا تقع مسئوليتها على الوعظ والارشاد فقط بل هي من مسئوليات الحكومة والقانون أيضا ولها حقيقة موضوعية وقيمة ذاتية على المستوى الروحي وليست هي تابعة للنتائج والأرباح على المستوى الميكانيكي فاذا تغيرت هذه المنافع تغيرت القيم والفضائل أيضا.

والأصل ان منبع قيم الحياة هو صفات الله عز وجل، قال الله تعالى «ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها(١٩) والجدير بالذكر ان لصفات الله في مجموعها مجالين: ١) مجال التعرف على الله و٢) مجال قياس السيرة الانسانية.

فبالنسبة للناحية الأولى تنقسم الصفات إلى ثالثة أقسام أ) الجمالية ب) الجلالية ج) الكمالية. وبالنسبة للناحية الثانية يمكن تقسيم هذه الأوصاف إلى الأقسام الآتية وهي مناط بحثنا: أ) الامتيازية ب) التعميرية ج) التكميلية. أما الامتيازية فهي مقياس للقيم الاخلاقية والفضائل الانسانية التي تفرق بها بين الانسان والحيوان وتسم الانسان بحسن السيرة وبالعظمة شخصيا واجتماعيا وهذه الأوصاف هي «العلم والحكمة والصدق والاخلاص والسخاء والعفة والحياء والامانة والعدالة الشخصية والاجتماعية والرحمة والاحسان والعفو والايثار والتضحية وما إلى ذلك. وهذه الميزات هي التي تهدي إلى معرفة الانسان لحقيقته كما تصلح لاخلاقه في الجوانب الاجتماعية والسياسية.



وأما التعميرية فهي مقياس للقيم الاخلاقية والفضائل الانسانية التي يتفوق الانسان بها على طاقات الكون ويستولى بها على خزائن الأرض وأسرارها ويتمتع بحسن التنسيق والترتيب والقدر والرقي وهذه الأوصاف هي: العزة والقوة والهيبة وشدة البطش وقوة الاعتصام وقوة اتخاذ الاجراءات الشديدة وقوة تسخير الآفاق والاستعداد لتسخير الاشياء النافعة والضارة وما يندرج تحتها.

وهذه المميزات هي التي تساعد على معرفة الانسان كما أنها تصلح مقياسا لاخلاقه في الجانب الكوني. وأما الصفات التكميلية فهي مقياس للقيم الأخلاقية والفضائل الانسانية التي تقود إلى معرفة الله وإلى معرفة النفس البشرية ويتمتع الانسان من خلالها بالعبودية الحقة لله تعالى وقوة الشكيمة والغيرة لنفسه وهذه الأوصاف هي: الاحتياج إلى الله وحده والعبودية له والرجاء والخوف والخشوع لله تعالى وسعة الصدر وطمأنينة القلب والعين والتجلد والقناعة والاستغناء والتوكل والشجاعة والفتوة والمعرفة بحقائق الاشياء والقدرة على الاختراع والصناعة والمهارة والدقة فيها والتدبر في خصائص الأشياء ونعوتها وما يشبهها. وهذه الأوصاف تساعد على تعميق معرفة الانسان تصلح مقياسا لاخلاقه في الجانب الذاتي والنفسي.

ولعله من البدهي أن تأثير الصفات من حيث المجموع لان يكون مقياسا للقيم الأخلاقية لا ان ينعكس كل صفة بكمال هيئتها وكيفيتها وكذلك لا يلزم من قبول هذا

التأثير الشرك في ذات الله ولا ينشأ سؤال حول فناء الانسان فيها مما يقول به الصوفية وغيرهم.

ان موضوع تحديد الحقوق موضوع بالغ الأهمية وبما أن القيم عند الحضارة الغربية بالإضافة إلى ان منبعها وكذا معيار الحسن والقبح فيها يرجعان إلى المجتمع لم تتحقق عندها الأسس الثابتة المستقلة لتحديد مجال الحقوق ولكن أساس الحقوق في القرآن هو قيم الحياة وهي قيم خالدة مستقلة فلذلك تتحقق بها الحقوق التالية مثلا: ١) الكرامة. فهي حق البشر كلهم من غير تميز بين الأحمر والأسود والكافر والمسلم ومن غير نظر إلى حسب أو جاه أو مال أو قوة أو مهنة أو طبقة وعلى الحكومة ان تقضي على نظرية التفرقة على أساس الأمور المذكورة. قال الله تعالى «ولقد كرمنا بني آدم(٢٠) لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم(٢١). ٢) الحماية. ولكل واحد الحق في ان تحفظ نفسه ويصان ماله وعرضه وشرفه قال الله تعالى «من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا(٢٢) وقال عليه السلام «فان دمائكم وأموالك وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا(٢٣).

٣) المؤدة وهي الرابطة التي تربط بين بني الانسان على المودة والحب والعطف والرحمة كما بين أعضاء الأسرة مع الاخلاص الكامل وابتغاء وجه الله في ذلك كما قال الله تعالى «ورحمتي وسعت كل شيئ(٢٤) وما ارسلناك الا رحمة للعالمين(٢٥) وقال عليه السلام لا تنزع الرحمة الا من شقي(٢٤) وما ارسلناك الا رحمة للعالمين(٢٥) وقال عليه السلام لا تنزع الرحمة الا من شقي(٢٦) وقال ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء(٢٧) وقال من لا يرحم لا يرحم(٢٨) وقال الخلق عيال الله وإحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله(٢٩) والمودة واجبة للمخالفين في الدين أيضا مادامو لم يعتدوا على المسلمين وغيرها ولم يعادوهم كما قال الله تعالى «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون(٣٠).

٤) العدالة المطلقة التي لا يخل بميزانها القرب أو البعد ولا الحب أو البعض ولكل واحد ان يتمتع بقوانين العدل فقد أمر الله تعالى بالعدل حتى مع العدو كما في القرآن «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين شهداء بالقسط ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين(٣١) ولا يجر منكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى(٣٢).

٥) الانتفاع العام. ولكل واحد ان ينتفع بما في الكون على قدم المساواة مع غيره قال الله تعالى «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا(٣٣) وفي موضع آخر «وجعلنا لكم فيها معائش ومن لستم له برازقين(٣٤).

٦) المشاركة في الحكومة. ولكل واحد حق المشاركة في الحكم بشرط ان يكون أهلا لذلك وفي الحكومة الشورية روعى هذا أيضا

مع مراعاة الأمور الأخرى وتتغير صورتها حسب الأحوال ومستوى الشعور وقد أمر الله النبي ﷺ «وشاورهم في الأمر(٣٥) وفي موضع آخر «وامرهم شورى بينهم (٣٦) وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الكوفة «يبعثون اليه رجلا من أخيرهم وأصلحهم وإلى أهل البصرة كذلك وإلى أهل الشام كذلك (٣٧) وهكذا أقرّ الخلفاء كثيرا من العمال غير المسلمين على مناصبهم بعد الفتوح (٣٨).

٧) حرية الديانة. ولكل واحد الحرية في الدين والعقيدة والمذهب وقد ورد في القرآن «لا اكراه في الدين (٣٩) ولذلك جعل رسول الله ﷺ اتباع جميع المذاهب أخوة وقال «ان العباد كلهم أخوة (٤٠) وأنهم أمة واحدة (٤١) ولكل ضمان في الأحوال الشخصية والثقافية كما في البلاد المفتوحة «أقر أهلها فيها على مللهم وشرائعهم (٤٢) «فهم أحرار في شهاداتهم ومناكحاتهم ومواريثهم وجميع احكامهم (٤٣) ولهم حرية في التوجيه الديني أيضا كما يظهر من هذا الحكم «ولا يحال بينهم وبين شرائعهم (٤٤).

٨) السلام والوفاء بالعهود بين الشعوب والحكومات أصل من أصول الفكر السياسي وحق من حقوق الناس وليس الأصل الخصومة والعدوان كما مرت الآيات قبل ذلك (٤٥) وفي موضع آخر «وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم (٤٦) وقال عليه السلام «الا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة (٤٧).

ولا يخفي على الأذكياء النابهين والعلماء المبتكرين ان للدولة سلطات واسعة في القوانين الموضوعة لرعاية الاداب ومصالح الناس وانتظام الأحوال والاشخاص فلو تقيّد الناس بالفروع المنصوصة عليها فقد ولم يجتهد اولو الأمر والعلماء في غيرها لوقع الناس في الحرج وضاع حقوق الناس. والسلام على من اتبع الهدى.

الشيخ محمد تقي الأميني

جامعة عليكرة الإسلامية - الهند

عن بحث قدم للمؤتمر العالمي «عن الدولة والسياسة في الإسلام» الذي عقد في لندن تحت رعاية المعهد الإسلامي. أغسطس ٨٣.

---

١) الزخرف : ٨٤
٢) الاعراف : ٦٤
٣) يوسف : ٣٩
٤- يوسف : ٦٧
٥) ص. ٢٦
٦) الحديد : ٧
٧) النساء : ٥٨
٨) الجوامع في السياسة الالهية ص ٣ لابن تيمية
٩) النحل : ٩٠
١٠) الانبياء : ٢١
١١) الاسراء : ٣٦
١٢) الذاريات : ٥٦
١٣) النحل : ٣٦
١٤) مجموعة المقال لابن تيمية ص ٦
١٥) الحج : ٤١
١٦) الاعراف : ١٣١

١٧) الانعام : ١٧٧
١٨) المشكوة كتاب فضائل القرآن
١٩) بني اسرائيل : ٧٠
٢٠) التين : ٥
٢١) المائدة : ٣٢
٢٢) المشكاة باب حجة الوداع
٢٣) الاعراف : ١٥٦
٢٤) الانبياء : ١٠٧
٢٥) المشكاة باب الرحمة والشفقة
٢٦) أيضا باب البر والصلة
٢٧) أيضا باب رحمة الناس والبهائم
٢٨) المشكاة باب في الشفقة على الخلق
٢٩) الممتحنة : ٨-٩
٣٠) النساء : ٣٥
٣١) المائدة : ٨
٣٢) البقرة : ٢٩
٣٣) الحجر: ٢٠
٣٤) آل عمران : ١٥٩
٣٥) الشورى : ٣٨
٣٦) كتاب الأموال لابي عبيد ص ٦٤
٣٧) كتاب الخطط للمقريزي ج٢ ص ١٢٠
٣٨) البقرة : ٣٥٦
٣٩) مسند أحمد ج١ ص٣٦٩
٤٠) السيرة النبوية لابن هشام ج١ والأموال لابي عبيد ص ٢٠٤-٢٠٥
٤١) كتاب الأموال ص ١٠١
٣٢) الأموال ص ١٤٥
٤٣) الطبري لابن جرير ج٤ ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند
٤٤) الممتحنة : ٨-٩
٤٥) الانفال : ٦١
٤٦) كتاب الخراج لابي يوسف ص ١٥٥

ساحة للحوار ..

المجموعات الإسلامية والمشكلة الاقتصادية

ان اقتصاديات أية مجموعة إسلامية تلعب دورا هاما في تسيير عجلة نشاطات هذه المجموعة وانتشارها وتطوير برامجها ومشاريعها وبالتالي استيعابها للعدد الكبير من العاملين الإسلاميين لملء حاجاتها وسد الفراغات الإدارية وغيرها نتيجة توسع وتعدد مراكزها على امتداد الخريطة الجغرافية الإسلامية في بلد ما أو أقليم ما أو دول ما.

والكل يعرف ان عملية الانتشار السريع هذه لأية مجموعة إسلامية عبر المشاريع الإسلامية كبناء المساجد والمدارس والمراكز الثقافية... الخ، يجب ان تكون مرتكزة على قوة اقتصادية هائلة للتمويل الدائم لهذه المشاريع لضمان استمراريتها من جهة ولاستقطاب الجماهير الإسلامية من جهة أخرى عبر الأنشطة الإسلامية والتي يشرف عليها بطريقة طبيعية الذين خططوا ودعموا ونفذوا هذه المشاريع.

والسؤال الذي ترفعه مجموعتنا، وتطلب من كافة الاخوة العاملين ان يرفعوه إلى ضمائرهم أولا ومن ثم إلى الآخرين، السؤال هو:

من أين أتت أموال هذه المجموعة أو تلك، كيف بنت اقتصادها، رأسمال بعض المجموعات العاملة في أمريكا وكندا (وعلى لسان مسؤوليها) يزيد على عشرات الملايين من الدولارات، كيف جمعت هذه الأموال، وممن جمعت هذه الأموال.

سؤال يجب ان يطرح على أية مجموعة إسلامية حتى يتبين لنا بصورة أوضح استقلاليتها أو ارتباطاتها، حتى يتبين لنا ان هذا المسجد الذي نصلي فيه مشيد من مال حلال ام من غير ذلك حتى يتبين لنا ان الخط التوجيهي الذي تتبناه المجموعة أو تلك، هو خط نابع من ضمير ابنائها أم هو خط مفروض عليهم، وهو تحصيل حاصل، نتيجة التبعية الاقتصادية لغيرهم، حتى يتبين لنا أين نسير وأين الملتقى.

والكل يعرف مدى تأثير الحل الاقتصادي لمشكلة المجموعة أو الأفراد، على أفكار هذه المجموعة وهؤلاء الأفراد، فاذا كانت اقتصاديات الفرد أو المجموعة من كسب حلال وفي ما يرضي الله كانت الأفكار أكثر وضوحا والأعمال أكثر اخلاصا، والقلوب أكثر صفاء وضياء.

واذا كانت اقتصاديات الأفراد أو المجموعة تأتي من كسب غير حلال أو مشكوك في مشروعيته، تأتي الأفكار أكثر غموضا، والنشاطات أكثر رياء وسطحية، بعيدة عن مواجهة حقيقة القضايا وجوهرها.

وهذا شئ طبيعي فهناك مثل شائع يقول: **(أطعم الفم تستحي العين)** ومن هنا نستطيع ان نفهم كيف ان الرسول القدوة ﷺ واجه

مشاكله الاقتصادية ورفض الاذعان لكل الحلول الاقتصادية المغرية والمبهرة للقلب والعقل معا، والتي عرضت عليه في مكة، وفضل الصبر والجوع والعطش والاكتفاء بامكانيته وامكانيات مجموعته الضئيلة جدا، واستعان بالله وحده على شق درب الدعوة والنشاط، ويصر ﷺ على المأكل الحلال والمشرب الحلال والملبس الحلال ويلحق في ذلك المسجد الحلال والنشاط الممول الحلال، والمدرسة المبنية من مال حلال وإلى كل ما غير ذلك مما يمت إلى حياتنا أو مماتنا من قريب أو بعيد. لان الرسول المصطفى ﷺ يعلم ان قبوله أموال أهل الفكر والنفاق ليحل بها مشكلة تمويل مشاريعه ونشاطاته وتبليغ دعوته، هو رأس الانحراف وقمة الضلال، واذا لم يكن من خيار، فالجوع والعطش، والصبر وتأجيل المشاريع أولى وأثمر، لضمان سلامة المسيرة ووضوح الرؤيا وصلابة الأفكار والثبات أمام الفتن والمغريات، الخاص منها استيعاب من قبل الآخرين الذين يشهدون الله على ما في قلوبهم وهم الد الخصام.

اخواننا في الله لنتحرى جميعا طرق كسبنا ومعاشنا، ولنبحث وندقق بطرق كسب وميزانيات المجموعة التي ننتمي اليها، ولنلفت نظر القيمين عليها وامرائها إلى جدية الأمر وخطورته. لان الله سبحانه وتعالى سوف يسألنا عن كل ذلك ولنكن جريئين وحكماء وننصح بالمحبة والموعظة الحسنة لانها مسؤولية خطيرة، وقد يكون الارتباط الاقتصادي المؤلم لمعظم المجموعات الإسلامية وكذلك بعض أفرادها، سببا مباشرا وأساسيا لعدم نصرة الله لهذه الأمة الجريحة المنكوبة.

اللهم انا نبغي وجهك الكريم ورضاك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نوفل زريبي

وا اسلاماه

يا أحرار العالم الإسلامي

يا أصحاب الضمائر الحية.... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرفع لكم قضيتنا في البحرين كي تشاركونا في الآلام وتضموا اصواتكم إلى اصواتنا ونحن نعيش اقسى الظروف واحلك الأيام مع علمنا ان هذه الآلام ضريبة يدفعها الإسلاميون في كل مكان.

قضيتنا التي نود ان نطلعكم عليها في هذا النداء هي قضية اغلاق جميعة التوعية الإسلامية في البحرين مؤخرا تحت اشراف رئيس المخابرات الانجليزي الجنرال هندرسون.

تأسست الجمعية في صيف عام ١٩٦٨م وحصلت على الاجازة الرسمية بعد جهد كبير عام ١٩٧٢م... ومنذ ذلك الوقت أخذت على عاتقها مسؤولية الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والعمل على هداية الناس بالارشاد والتربية، فقد أقامت منذ تأسيسها حتى الآن ستة عشر موسما إسلاميا ساهم فيها مفكرون إسلاميون وعلماء من البحرين ومصر والاردن

والعراق ولبنان وايران وباكستان والهند ومن بلاد المهجر كامريكا وأوروبا، فكانت بذلك ملتقى فكريا سنويا. وهذا كله إضافة إلى ندواتها الأسبوعية العامة التي ساهمت في بث الوعي الإسلامي وتنشئة الاجيال.

وقد فتحت الجمعية منذ تسع سنوات مدارس نظامية للبنات تجمع بين المواد العلمية والدراسات الإسلامية، فهناك مدرسة ابتدائية صباحية ومدرسة متوسطة وثانوية مسائية، بلغ عدد الطالبات فيها جميعا ١٢٠٠ طالبة. كما فتحت منذ أربع سنوات معهدا مسائيا للدراسات الإسلامية العالية مدة الدراسة فيه أربع سنوات للنساء والرجال، وبلغ مجموع طلابه وطالباته ٣٠٠ شخص. وبذلك وفرت الجمعية جوا تربويا إسلاميا كان غير متوفر في البلاد من قبل. كما أخذت الجمعية على عاتقها ايصال الكلمة الطيبة عن طريق توفير الكتاب الإسلامي وفتح مكتبة كبيرة يرتادها القراء وتوزيع أشرطة الكاسيت لنشر المحاضرات الإسلامية من مختلف بلاد المسلمين. وكان واضحا منذ اليوم الأول ان هناك مضايقات كثيرة من قبل الحكومة لايقاف هذا الوعي المتنامي بين الشباب الذي لا ينسجم مع الخط الاستعماري لتغريب البلاد والعباد.

كيف اغلقت الجمعية؟

في يوم الاحد ١٩٨٤/١/١٩م مساءً القت السلطات القبض على رئيس الجمعية، الشيخ ابراهيم الجفيري. وفي يوم الخميس ١٩٨٤/٢/٢م وفي الساعة السادسة والنصف صباحا قامت هذه السلطات بغلق الجمعية وباسلوب لا تمارسه الا حكومة الكيان الصهيوني. فبدون قرار رسمي بالاغلاق أرسلت الحكومة ست سيارات مسلحة وأربع سيارات اسعاف (لنقل الجريحات من البنات) وسيطرت الشرطة على مبنى الجمعية ولاحقت من جاء من البنات (طالبات المدرسة الابتدائية أعمارهن من ٦–١٢ سنة) حيث يبدأ دوامهن الساعة السابعة صباحا وطاردتهن بالهراوات في الشوارع المجاورة حتى اختبأ بعضهن في مدرسة حكومية مجاورة، ولكن الشرطة داهمت المدرسة المذكورة للاعتداء على طالبات الجمعية.

ثم عادت الشرطة من جديد للبنات اللائي جئن من أماكن بعيدة ومارست العمل الوحشي نفسه ضدهن، واعتقلت سائقي الباصات... ثم دخل رجال الشرطة والمباحث الجمعية ومعهم رئيس الجمعية مقيدا وصادروا جميع الاشرطة والكتب وآلات الطباعة ووضعوا حرسا دائما على الأبواب. وكان المشرف على هذه العمليات «البطولية» أحد الضباط الانجليز الذي يعمل في المخابرات البحرينية.

أيها السادة

من الذي يمسك نفسه عن البكاء وهو يسمع صرخات طفلات مدرسة ابتدائية من ضرب مسلحة وهن يركضن في الشوارع والازقة بحجابهن... وكيف يحدث هذا في بلد إسلامي يُرفع فيه الاذان ويُتلى فيه القرآن ليل نهار وينص دستوره على ان «البحرين دولة عربية إسلامية» في الوقت الذي يُسمح فيه لدُور الرقص والدعارة وحوانيت الخمر ونادي الروتاري الماسوني بالانتشار والعمل دون تقييد؟

ولنكمل لكم القصة... في اليوم نفسه وفي وقت صلاة المغرب داهم الشرطة ورجال

المباحث الجامع الكبير في البلد، والامام يصلي بالناس، وبدل ان يلتحقوا بصلاة الجماعة في تلك الليلة المباركة «ليلة الجمعة» أخذوا يصورون المصلين بالفيديو ويوجهون الاهانات لهم، وكأن المصلين مجرمون... لا اله الا الله... كيف يصل الأمر إلى هذه الدرجة ونحن نستنكر على اسرائيل جرائمها في تدنيس المساجد.

أيها الإسلاميون الأحرار في كل مكان:

انتم المعنيون بهذا النداء وعليكم ان تقوموا بواجبكم ما وسعكم ذلك:

- قولوا كلمتكم في نصرة هذا الشعب الذي يُضرب إسلامه.
- ردوا على هذا المنكر الذي نعيشه في البحرين بما تستطيعون.
- افصحوا عن مواقفكم الرافضة لهذه الأعمال المعادية للإسلام.
- طالبوا باطلاق رئيس الجمعية واعادة تدريس الطالبات والطلاب.
- طالبوا بضمان حرية الصلاة والعبادة في الجوامع واحترام قدسيتها.
- اعلموا ان «من سمع رجلا ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس منهم».

ودمتم انصارا للحق.. ذائدين عن أهله....

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اعضاء جمعية التوعية الإسلامية في البحرين

٧ جمادى الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٠ فبراير ١٩٨٤م

الصهاينة يغتالون الشيخ راغب حرب..

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون)

في يوم الجمعة المصادف ١٤ جمادى الأول ١٤٠٤هـ نقلت وكالات الانباء العالمية نبأ إستشهاد الشيخ المجاهد راغب حرب إمام جمعة جبشيت وذلك في قريته، التي عمل طوال السنوات السابقة على ارضها ومُنطلقاً منها من أجل رفعة الإسلام العظيم ومن أجل إقتلاع جذور القهر والحرمان وطرد شبح الذل والفقر عن ابناء الجنوب الصامد الذين تشبثوا دفاعا عن العقيدة والأرض والكرامة وهم يدفعون ثمن ذلك مزيدا من القتل والتشريد والدمار. فمنذ عدة سنوات بدأ الشهيد راغب حرب ورفيق له من علماء الجنوب تجربة كان من الممكن ان تكون مثالا للنضال الاجتماعي الإسلامي الحقيقي حيث إستطاعا في تلك القرية الصغيرة في الجنوب اللبناني ان يصنعا مجتمعا إسلاميا مستقلا تماما معتمدا على قواه الذاتية.... مُنظما تحت سلطة الإسلام وحكمه، متضامنا متكافلا وبعيدا عن كل نفوذ حكومي وقد أصبحت جبشيت القرية البعيدة إلى الجنوب مثالا حيا في قدرة الإسلام على التحريك والبناء ومحجا لكل المجاهدين والمثقفين المسلمين في المنطقة.

وعندما بدأت الايادي الخبيثة بالعبث داخل الصف الواحد لابناء الجنوب محاولة لخرق صلابة الجنوب التاريخية في مواجهة العدو الصهيوني، كانت جبشيت تقف علامة واضحة على طريق الصمود والوحدة.

ان بصمات الشيخ راغب حرب العالم المسلم الشهيد مطبوعة على كل شبر من أرض الجنوب وفي كل قلب تعطش للقاء الله فهو لم يأت إلى شهادته من نضال أيام أو شهور بل جاء محملاً بسنوات طويلة من النضال الاجتماعي والسياسي الإسلامي.

وعندما اجتاحت قوات العدو الصهيوني لبنان ليصبح الجنوب بأكمله تحت الاحتلال والقهر. كان الشيخ راغب حرب قد اختار مسبقا موقعه، إختار ان يلتحم بالجماهير الفقيرة الصابرة الصامدة المناضلة التي طالما كان معها وفي صفها وبقي في جبشيت قائدا للمجاهدين من أبناء المنطقة في مواجهة العدو المحتل الكافر وكل الخطوط المرتبطة به. وقد أعاد للمسجد دوره الأصيل الذي كان يلعبه عبر التاريخ وفي صدر الإسلام منطلقا لرفض الكفر والجهاد في سبيل الله. وبعد شهور قليلة من الاحتلال لم يستطع العدو الغاصب الصبر على الدور الكبير الذي يؤديه الشيخ راغب حرب بعد أن أصبح الجنوب بأكمله ثورة مشتعلة تحت أقدام جنوده. فاعتقل الشيخ راغب حرب المناضل ونقل إلى معسكر أنصار ولم يتم الافراج عنه الا عندما أدرك العدو الكافر انه سيدفع الثمن كبيرا مقابل استمرار اعتقاله، وقد كان الافراج عنه رمزا لقدرة الأمة على هزيمة اسلحة العدو وجبروته بايمانها وتكبيرها ووحدتها.

ومنذ ذلك اليوم والشيخ راغب حرب يمثل رمزا لحركة الإسلام وقوته وعقبة كبرى أمام سلطة العدو الصهيوني وكل أشكال المؤامرات على الجنوب، وقد أصبح الشيخ المجاهد هدفا لمؤامرات العدو المجرمة حين ظن بان مقتله سوف ينهي حركة الإسلام الرافضة في الجنوب. وما جهله العدو وعملائه ان راغب حرب حلقة في سلسلة الشهادة الطويلة الممتد عبر كل تاريخنا والذي سيبقى ليصنع مستقبل الحرية والاستقلال على كل شبر من أرض الإسلام.

ان استشهاد الشيخ المناضل راغب حرب في هذا الوقت بالذات انما تشير إلى قضيتين هامتين:

(١) ان العدو الصهيوني قد بدأ مخططه الطويل للاستيطان في جنوب لبنان المسلم وما مؤامرة اغتيال الشيخ المجاهد الا خطوة من أجل تصفية كل رموز المقاومة الإسلامية غير المساومة التي ستكون أكبر وأهم عقبة في مواجهة المخطط الصهيوني.

٢) ان شهادة الشيخ راغب حرب هي دليل واضح على ان الإسلام العظيم قد بدأ حركته الكبرى في هذه المنطقة من العالم رائدا للأمة الإسلامية ومحركا لجماهيرها. وها هو الإسلام يقدم أحد أبرز ابنائه علامة على طريق النهوض فقد انتهى الزمن الذي كانت فيه فلول اليسار أو بقايا نتائج (سايكس بيكو) من المجموعات القومية التي تتصور حركة أمتنا وتدعي تمثيلها، اليوم لا يصنع الإسلام فقط حركة الأمة بل يقدم علمائه شهداء على الطريق الطويل.

التجمع الإسلامي لطلبة لبنان
(بريطانيا وايرلندة)

باختصار...

● تقارير من دمشق أفادت طوال الأسابيع الماضية، أن الصراع داخل المجموعة الحاكمة قد وصل إلى مرحلة الاشتباك المسلح بعد أن أحست القوى المعادية لرفعت الأسد، الشقيق الأصغر للحاكم السوري وقائد سرايا الدفاع التي تتولى مهمة حماية النظام وسيطرته على العاصمة بشكل خاص، أحست القوى أن رفعت يتحرك بإتجاه السيطرة على منصب وزير الدفاع الذي سيؤمن له أقوى الأوراق في الصراع على مستقبل سوريا. حكمت الشهابي (السني) وقائد الأركان، يسانده علي دوبا (العلوي) مسئول المخابرات العسكرية، ومجموعة من ضباط الجيش العلويين يقفون ضد رفعت لعدة أسباب، منها الشخصي ومنها السياسي ومنها الصراع الخاص داخل الطائفة العلوية. المتوقع ألاّ ينتهي شهر مارس بدون تغيرات هامة، في قيادات النظام الحاكم في دمشق في محاولة من الرئيس المريض حافظ الأسد ضبط الأمور قليلاً أو تأجيل الانفجار.



قابوس: نعم للتدخل الأجنبي

● أكدت سلطنة عُمان لكل من لندن وواشنطن أستعدادها التام للمشاركة في أي عملية تدخل عسكري ضد ايران في حالة اغلاق مضيق هرمز. سبق لعمان أن كانت آخر محطة للطائرات الأميريكية التي شاركت في عملية صحراء طبس الفاشلة.

● أثناء وجود الرئيس المصري في المغرب، التقى مع مبعوث خاص من العقيد القذافي. الاتصالات المصرية — الليبية لم تتوقف طوال العام الأخير ضمن نشاطات العقيد لكسر العزلة التي تحيطه في المنطقة.

● حركة موريتانية معارضة تطلق على نفسها «جمعية موريتانيا الديمقراطية» يمثلها محمد عبد الرحمن ولد أمين وزعت بيانات في باريس تطالب الحكومة الموريتانية بالافراج عن رئيس الدولة السابق العقيد ولد سالك ورئيس الوزراء السابق بن بجادا المحكومين بالسجن عشر أعوام.

● إعدام الهند للزعيم الكشميري المسلم محمد مقبول بوت العضو المؤسس في «جبهة تحرير جامو وكشمير» التي تطالب باستقلال كشمير المسلمة عن الهند لم يثر أي نفس «!» في بقية الدول العربية والإسلامية. أليس ذلك عيباً، فالهند ليس واشنطن أو موسكو؟!

● الساحة المصرية السياسية تقفز بسرعة هائلة إلى متغيرات غير متوقعة فقد أوضحت جنازة المرحوم الشيخ العشماوي عن تعاطف وتقارب كبير من مختلف الاتجاهات الإسلامية فيما قرر الأخوان النزول إلى الانتخابات على لائحة حزب الوفد، الذي أدت عودته للساحة السياسية إلى ما يشبه التحالف بين قطاع كبير من الناصريين والحزب الوطني الحاكم.



بن بللا: أول الحملة الفرنسية ضده

● طرد الطلبة المسلمين من فرنسا مازال مستمراً، ومعظم الحالات لا يعلن عنها. للتذكير كان آخر اعلان رسمي في يناير الماضي عندما طردت السلطات الفرنسية أربعة مصريين وتونسيان وجزائريان وايراني واحد بعد اتهامهم بالقيام بنشاطات إسلامية متعصبة. للتذكير أيضاً أن النشاط الإسلامي كان وراء طرد المحلق الثقافي الايراني في باريس في ديسمبر الماضي، وطرد الرئيس الجزائري السابق أحمد بن بللا وعائلته قبل حوالي عام من الآن.

● رؤوف دنكطاش رئيس «دولة شمال قبرص» التي تضم القبارصة المسلمين الأتراك، لازال وإدارته يحاولون الحصول على اعتراف بعض الدول الإسلامية بالدولة الجديدة ولكن النتائج ليست مشجعة حتى الآن، وذلك لأن معظم الدول الإسلامية تربطها باليونان علاقات جيدة لا تريد أن تخسرها، خاصة الدول العربية منها، فيما بعض الدول الأخرى تعتبر الدولة الجديدة قد أعلنت على حساب الحكومة التركية التي لا تربطها بها علاقات جيدة. وما بين تركيا واليونان والدول الإسلامية المحترمة تاهت حقوق المسلمين القبارصة.. وحتى الآن.

● رغم كل محاولات ضبط ميزانية الكويت لعام ٨٣–٨٤ فإن العجز سيتجاوز ٨٠٠ مليون دينار.

● لائحة الدول العربية المدينة تضم على رأسها العراق بمديونية بلغت ٣٠ مليار دولار ثم مصر ٢٠ مليار دولار فالجزائر ١٥ مليار ثم ....



لقاء الأردن

● العريضتان المرسلتان من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى عرفات في عمان بصيغ مختلفة كل منها عن الأخرى تعبران عن انقسام واضح في الرأي العام الفلسطيني داخل الوطن المحتل بعد الأحداث الدامية المتواصلة في العام الأخير. إحدى العريضتين تدعو إلى تعاون وثيق مع الأردن بإتجاه المشروع الأميريكي. والثانية تدعو إلى الحفاظ على الموقف الفلسطيني المستقل لتحقيق اعتراف دولي بالشخصية والحقوق الوطنية الفلسطينية. الإنقسام في الرأي والتعارض في العريضتين ساعد عرفات في مباحثاته مع الملك حسين، والتي أرادها علاقات حسنه وتواجد في الأردن بدون تفويض.

● المجلس الإسلامي الأوروبي عقد حلقة نقاش وتشاور حول أوضاع المهاجرين المسلمين في أوروبا بتاريخ ٨٤/٣/٢ وقد قرر المجتمعون انشاء مجموعة عمل للتحضير لمؤتمر أوروبي للعمال المهاجرين والمنظمات ذات العلاقة بالمسألة في وقت آخر من هذا العام.

من الذين شاركوا في الندوة وزير حكومة العمال البريطانية السابقة لشئون العمل، وممثلين عن نقابتي النقل والعمال العموميين في بريطانيا، مجلس رعاية المهاجرين، مجموعة العمل للمهاجرين، وحدة الأقليات في مجلس مدينة لندن، رابطة الرعاية الباكستانية ورئيس المجلس الإسلامي الأوروبي.

ونلتقي...

أخي بأحد أسمائك أناديك من وراء هذه السدود وأناجيك أمامي .. فارساً أو عزّاً أو .. ها أنت تجيء ملفعاً بتفاؤل سيل من الخيل يتقدم الآن يتمترس على بطاح الجرح تهيوءاً للوثبة العملاقة .. وتجيء تسكنك شهوة الفرح والتحدي .. تجمعت فيك يوم دخلت «مدرسة يوسف» كبرياء الكرمل وإصرار النقب وصمود عكا وأسوارها أمام البحر .. ! ! وإبتسامات الأطفال للحرية .. والمسلمون للثورة . قال لي أحد الأصدقاء وهو يذكرني بك حيث تسكن دوماً أطراف ألسنتهم ولب وعيهم :—

«أما تذكر يا أخي كيف تصدى البنا للتهاوي .. أما تذكر كيف واجه سيد قطب المرحلة – المخرز .. أما تذكر صرخات المسلمين التي هدّت عرش الطاغوت في إيران .. أما تذكر كيف صرخ خالد الإسلامبولي في وجه فرعون مصر .. وبالأمس القريب أما تذكر هتافات المسلمين في الأقصى والتي كانت بمثابة الرد المباشر في الساحة المنكشفة .

لا أكتمك يا أخي إستغرابي لهذه التساؤلات ولكن ما كان لي إلا أن أجيب بـ«بلى» لأسمع ما بعد ذلك :

إنَّ أخاك الذي حمل أسماءً مجهولة والذي تصر أن تناديه بأحدها .. كان دوماً في كل تلك الوقائع منحازاً للحق .. عاشها بدمه ولحمه وعاشها بعشقه وعقله .. هو هو .. مجبول على هذه الطريقة .. طريقة النقاء والوعي والتصدي للزيف والإنحراف .. إن صديقك يا أخي أدرك أن طريق الله هو الكفاح لإسعاد عباد الله فوضع قلبه في دائرة الولاء لله ولم يخشى في ثورته لومة لائم ..

بالفعل لقد تذكرت ما قلته لي في أحد المرات : «آه لو يعلم هؤلاء المجرمون كم تقربنا سياطهم من الله» .. نعم أيها المعلم الرسالي الفذ .. لقد إخترقت عيناك حواجز الظلام ورغم أسمائك المجهولة ها هي تتحسس أنفاسك جموع الرساليين فلن أقول من يعلمنا اليوم كيف نتعامل بمزيد من الهدوء والنقاء مع تكتلات الجهل والتخلف .. أو من يعلمنا دروس إصرار جبال فلسطين ضد التهويد .. أو من يترجم لنا لغة الشهادة إلى العمل الهادئ والجميل .. فلقد أعطيتنا حباً ننسى معه تعب الساعات الطويلة .. وها نحن نتواعد لنرى ميلادك الجديد كما لو كان إعلان الخطوة الألف ..

فيا أنت يا من كنت تضحك حتى كانت نواجذك تبان وعيناك تبرق بكل وسعها بالتفاؤل عندما كان ينالك الأولاد المشاغبون بسبابهم أبناء العشائر الحزبية .. وكنت تدعو لأجلهم كثيراً ..

ويا أنت يا من كنت تغضب حتى كأن وجنتيك هما صخور جبل النار و«سيلة الحارثية» أو شيءٌ لا أستطيع تفسيره عندما ترى أن أحدنا يريد أن يضرب بسيف أطول منه ..

يا صديق أيها الحبيب أيحزنك أنك بعيد عنا .. إنني على ثقة بأن فرحك عظيم بخلوتك فلكم كنت تعد لها .. أما حزننا فوالله عظيم وكم تمنى كل منا أن تناله بدلاً منك كل السياط التي صبتها يد الشر عليك .. فداك عمري وفداك أمي وأبي .. زرعك إصْلَّب عوده فهو يغيظ الكفار والمنافقين والعشائريين .. وستخرج بأمر الله والعيون يملأها الصحو ..

تلميذك المحب
صلاح الدين فتحي